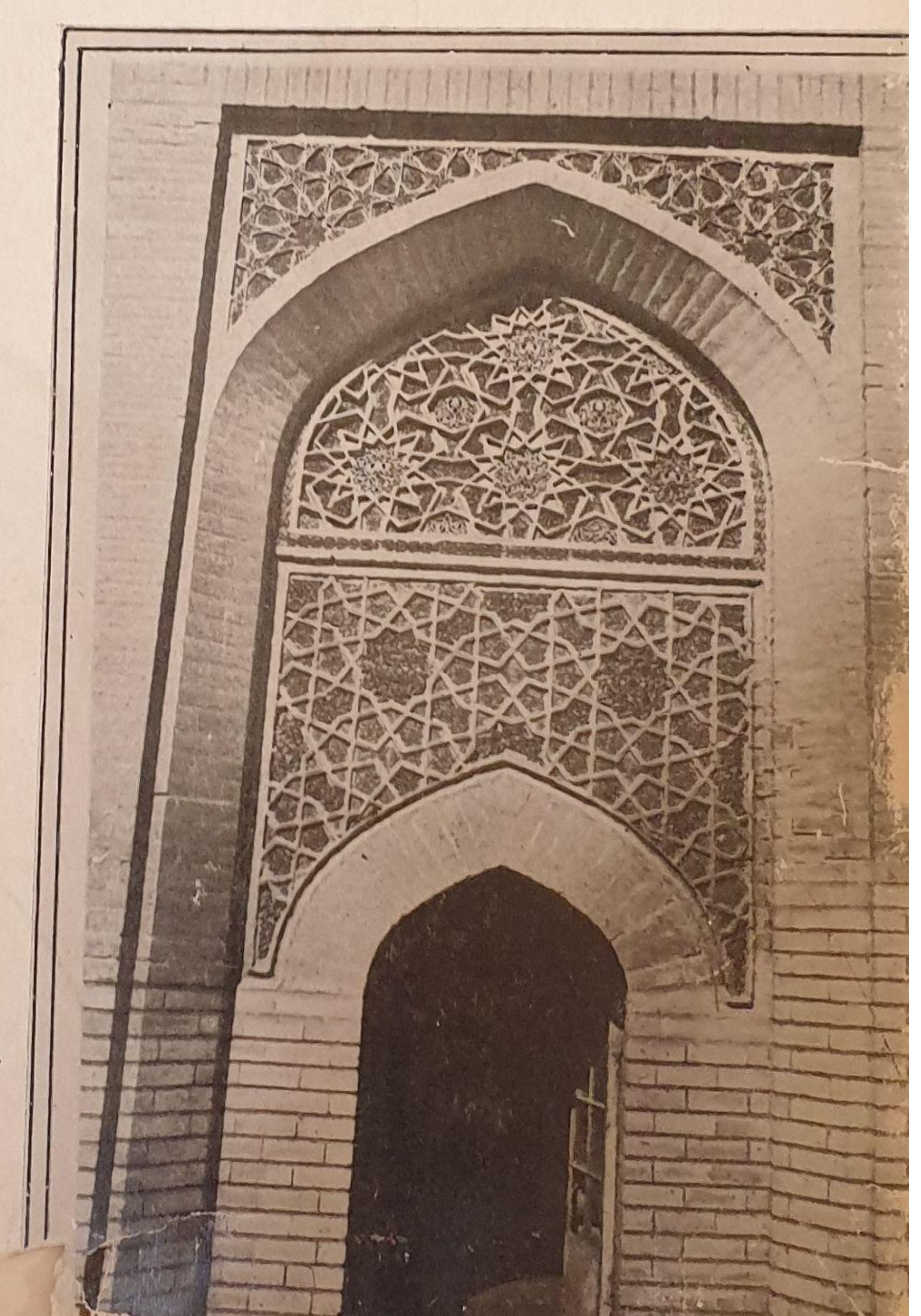
المدرسة المستنصرية

في بغداد



تأليف

خالد خليل حمودي الأعظمي

المدرسة المستنصرية في بغداد

الجمهورية العراقية
وزارة الثقافة والاعلام
المؤسسة العامة للآثار والتراث

المدرسة المستنصرية في بغداد

تأليف

خالد خليل حمودي الأعظمي



المحتويات

تقديم

كانت المساجد في العصر الاسلامي الاول هي المعاهد الأولى للتعليم عند المسلمين. فيها يتلقون مبادىء الاسلام واصول الدين الحنيف. وقد حث الاسلام على التعلم وشجع المؤمنين على السعي في طلب العلم. (١) وكان ذلك مظهرا أوليا لنشأة حركة التعليم في العصر الأسلامي، حيث تبع ذلك تدريجيا ظهور حلقات العلم والأدب التي كانت تعقد في المساجد أو في بيوت الخلفاء والحكام، واصبحت المساجد الجامعة الأولى في القرون الثلاثة الأولى بعد الهجرة خير أماكن التعليم، وابرز تلك المساجد هي المسجد النبوي بالمدينة، والمسجد الحرام بمكة، والمسجد الجامع بالبصرة، مسجد الكوفة، مسجد الفسطاط بمصر، المسجد الأقصى وقبة الصخرة بالقدس، الجامع الاموي بدمشق، مسجد القيروان بتونس، جامع المنصور ببغداد، مسجد قرطبة في الاندلس.

والى جانب ذلك ظهرت بوادر إحساس بالحاجة الى أماكن للتعليم غير المساجد وعدم الاكتفاء بها. فاتخذت بعض بيوت العلماء لتدريس علوم الدين واللغة(٢)، ونشأت خزانة الكتب وبيوت الحكمة، ودور العلم لتيسير سبل التعليم ودراسة مختلف العلوم(٣).

وجاء القرن الرابع الهجري (العاشر الميلادي) الذي تطورت وازدهرت فيه الحضارة العربية الاسلامية حيث شهد تبلور فكرة « المدرسة» بظهور دور مخصصة للتدريس فيها مساكن للغرباء وأوقفت لها الأوقاف وجعلت فيها خزانات للكتب ودرست فيها علوم مختلفة. (٤) وهكذا كانت المدارس مرحلة متقدمة في سلسلة التطورات التي مرت بها حركة التعليم في العصر الاسلامي، وتضوجاً لفكرة راودت أصحابها ظهرت الى الوجود بعد توفر الظروف المساعدة لها.

ويعتبر منتصف القرن الخامس الهجري (الحادي عشر الميلادي) فاتحة عصر جديد بالنسبة لنظام التعليم والمدارس في الاسلام، عندما أخذت الدولة باحتضان فكرة « المدرسة» واتخاذها مركزاً لنشر الفكر الاسلامي بعيداً عن التيارات المعادية والأفكار المضادة، فهيأت الدولة الأبنية لذلك وصرفت الأجور للمدرسين والطلاب وجعلت لها الأوقاف الكافية للصرف عليها

---

(١) هناك آيات قرانية عديدة حول ذلك (أنظر : سورة المجادلة ، آية ١١ وسورة طه ، آية ١٤) . كما وردت أحاديث نبوية كثيرة في هذا المضمار .

(٢) أنظر : إبن الجوزي : صفة الصفوة (حيدر آباد/ ١٣٥٥ هجرية) ج ١ ص ٣١٩
إبن كثير: البداية والنهاية (القاهرة/١٣٥٨ هجرية) جـ ٨ ص ٣٠١ .
المقريزي : الخطط (القاهرة/ ١٢٧٠ هجرية) جـ ٢ص ٣٦٢ .
ياقوت الحموي : معجم الأدباء (القاهرة/ ١٩٢٦) جـ ٣ ص ٢٢ .

(٣) أنظر : خطط المقريزي (المرجع السابق) جـ ١ ص ٤٥٨ ، جـ ٢ ص ٣٤٢ ، ٣٦٣ .
ياقوت الحموي : معجم الأدباء (ليدن/ ١٩٠٧ ــ ١٩١١) جـ٢ ص ٤٢٠ .

(٤) : ياقوت الحموي : معجم البلدان جـ ٢ ص ١٧١ ، ٢٤٤ . معجم الأدباء جـ٦ ص ١٥٦ ــ ١٦٣ .
الصفدي : الوافي بالوفيات (استانبول ١٩٣١ ــ ١٩٥٤) جـ ٢ ص ٢٤٤ .
السبكي : طبقات الشافعية الكبرى (القاهرة/ ١٣٢٤ هجرية) جـ٣ ص ١١١ .

وضمان دوامها. (٥) وهكذا بنيت المدرسة النظامية ببغداد في سنة ٤٥٩ هجرية (١٠٦٦ ميلادية) من قبل « نظام الملك» وزير السلطان السلجوقي الب ارسلان ووزير إبنة السلطان ملكشاه، وهي إحدى المدارس التي اقامها هذا الوزير في كل من بغداد والبصرة والموصل وبلخ ونيسابور وهراة واصبهان ومرو وامل، وكان لنظامية بغداد اهمية كبيرة وتركت تأثيراً في الحضارة الأسلامية واعتبرت أول مدرسة في الأسلام ذلك لأن نظام الملك وضع قاعدة مهمة إتبعت من بعده في أرجاء العالم الاسلامي وفي مختلف العصور اللاحقة. الا وهي انشاء المدارس من قبل الدولة، واستقلالها عن ابنية المساجد، وتوفير مستلزمات سكن وقاعات تدريس للمدرسين والطلبة مع تخصيص أجور شهرية لهم. (٦)

أما بالنسبة للنظام التخطيطي والعماري للمدرسة فيمكننا القول بأنه مستمد أصلا من نظام المسجد الجامع الذي تطورت عمارته وتخطيطه تطوراً منطقياً بحكم الضرورة ووفق متطلبات المدرسة من إقامة بيوت لسكن فريق من الأساتذة والطلاب وتوفير سبل البحث والدراسة والمعيشة لهم(٧) وابرز الخصائص التي تميزت بها ابنية المدارس في العصر العباسي هي: ـ

١ ـ تخطيط المدرسة هو مربع أو مستطيل تتوسطه ساحة مكشوفة (صحن) تحيطها مرافق المدرسة، وتحتل هذه الساحة اكبر قدر من المخطط العام للبناية.

٢ ـ وجود أواوين تطل على الساحة الوسطية، فبعض المدارس فيها إيوان واحد، وبعضها فيها إيوانان، وهناك مدارس ذات أربعة أواوين.

٣ ـ إقامة بيت للصلاة في الجهة القبلية من البناية بحيث يوفر ذلك إمكانية الأستفادة من الساحة في اداء الصلاة عند عدم كفاية بيت الصلاة ووجود عدد كبير من المصلين.

٤ ـ وجود حجرات وغرف للسكن مع قاعات كبيرة للتدريس.

٥ ـ تميزت مدارس العراق وبلاد الشام بصورة عامة بخلوها من المآذن، بينما نجد العكس في آسيا الصغرى

٦ ـ ضمت بعض المدارس أضرحة مؤسيسها وبنيت القباب فوقها أحياناً.

(٥) أنظر : خطط المقريزي (المرجع السابق) جـ ٢ ص ٣٦٢
الصفدي (المرجع السابق) جـ ٢ ص ٣٤٤ .
السبكي (المرجع السابق) جـ ٣ ص ٣٢ ، ١١١ .

(٦) لنظر : إبن جبير : الرحلة (بيروت / ١٩٦٨) ص ١٨٣ . إبن الجوزي : المنتظم (حيدرأباد / ١٣٥٧ هـ جـ٨ ص ٢٤٥ . الطرطوشي : سراج الملوك (مصر/ ١٣٠٦ هجرية) ص ١٢٨ . إبن الأثير : الكامل في التاريخ حوادث سنة ٤٥٩ هجرية.

(٧) : الدكتور احمد فكري : مساجد القاهرة ومدارسها (مصر/ ١٩٦٩) جـ٢ (العصر الأيوبي ص ١٥٤ ـ ١٩٢ .

الخليفة العباسي المستنصر بالله

هو أبو جعفر منصور بن الظاهر محمد بن الناصر احمد، المشهور بالمستنصر بالله. ولد سنة ٥٨٨ هجرية (١١٩٢ ميلادية)، وبويع للخلافة سنة ٦٢٣ هجرية (١٢٢٦ ميلادية)، ودامت خلافته حتى وفاته في سنة ٦٤٠ هجرية (١٢٤٢ ميلادية). (٨) سار هذا الخليفة في الناس سيرة حسنة، فنشر العدل وقمع الفتن وجمع الجيوش لنصرة الأسلام وحفظ الثغور، وكان يعظم أهل العلم والدين وينفق عليهم، ويحب أهل الأدب ويقرب طلابه ويغمرهم ببره، ومن محبته للعلوم أنه أنشأ خزانة الكتب في قصر الخلافة جمع فيها من أنواع العلوم المختلفة. (٩) واشتهر المستنصر بالله بأعماله العمرانية الكثيرة حيث ما يزال بعضها قائماً الى اليوم ومن بينها المدرسة المستنصرية، وأبرز تلك الأعمال أنه قام بأكمال بناء مشهد الأمامين موسى الكاظم ومحمد الجواد (١٠)، وجعل فوق الضريحين قبة ووسع بهو المشهد وصحنه وجعل له أواوين (١١) وقام ببناء مسجد قمرية سنة ٦٢٦ هجرية (١٢٢٨ ميلادية) ورتب فيه الأمام والمحدث مع ثلاثين صبياً يتلقون القرآن الكريم وجعل فيه خزانة للكتب. (١٢) وفي عهده بنيت المدرسة الشرابية من قبل شرف الدين إقبال الشرابي أحد مماليكه المقربين والذي بنى عدة مدارس أخرى في واسط ومكة. (١٣) وجددهذا الخليفة واجهة مدخل جامع الخلفاء وسجل اسمه عليها.

(٨) : إبن الجوزي : مرآة الزمان (الهند/ ١٩٥٣) جـ٨ ص ٧٣٩ .
إبن الساعي : مختصر اخبار الخلفاء (مصر/ ١٣٠٩ هجرية) ص ١٢٣ .
إبن الفوطي: الحوادث الجامعة (بغداد/ ١٩٣٢) ص ١٥٥ .
إبن كثير : البداية والنهاية جـ ١٣ ص ١١٣ ، ١٥٩ .
إبن تغري بردي : النجوم الزاهرة (القاهرة/ ١٩٣٦) جـ٦ ص ٣٤٥ .
السيوطي : تاريخ الخلفاء (القاهرة ١٩٦٤) ص ٤٦٠ .

(٩) المراجع السابقة . الأربلي : خلاصة الذهب المسبوك (١٨٨٥ ميلادية) ص ٢١١
القرماني : أخبار الاول (القاهرة/ ١٩٢٠) ص ١٨٠ . إبن العبري : تاريخ مختصر الدول (بيروت/ ١٨٩٠) ص ٤٢٥ .

(١٠) إبن الطقطقي : الفخري في الأداب السلطانية (مصر) ص ٢٦٦ .

(١١) الدكتور مصطفى جواد : مشهد الكاظمين (مطبوع بآلة كاتبة ومحفوظ في مكتبة المتحف العراقي)ص ١٠ .
محمد حسين آل ياسين : تاريخ المشهد الكاظمي (بغداد/ ١٩٦٧) ص ٢٤ .

(١٢) إبن الفوطي : الحوادث الجامعة ص ٤ ، ١٨٨ ، ٢٩٦ .

(١٣) المرجع السابق ص ٢٤ ـ ٢٥ ، ٢٠٨ .

(١٤) وفي عهده بنى مشهد الشيخ عمر السهروردي المتوفى سنة ٦٣٢ هجرية (١٢٣٤ ميلادية)(١٥). ومن أعماله بناء جسر حربى الذي ما تزال الكتابات الموجودة عليه تشير الى ذلك (١٦). وكذلك خان الخرنيني (١٧). ويذكر إبن الفوطي أن هذا الخليفة قد أمر بعمارة مساجد الكرخ ورتب بها الأئمة والمؤذنين. كما أمر بعمارة جامع البصرة وأنشاء مارستان هناك. (١٨) ومن ذلك يتبين لنا مدى الأصلاحات العمرانية التي قام بها الخليفة المستنصر بالله. هذا الى جانب الأصلاحيات الأجتماعية والعسكرية مما جعل عصره يتميز بكونه عصر إنتباه ويقظة ونهضة شاملة.

---

(١٤) أنظر رحلة نيبور الى العراق، ترجمة الدكتور حسين أمين (بغداد/ ١٩٦٥) ص ٣٢.

(١٥) أنظر: إبن خلكان: وفيات الأعيان (مصر/ ١٩٤٨) جـ٣ ص ١١٩ ـ ١٢٠.
إبن الفوطي: الحوادث الجامعة ص ٧٤.

(١٦) يقع هذا الأثر في الوقت الحاضر على بعد (٩٠) كيلومتر شمال بغداد على الطريق المؤدي الى سامراء. (أنظر عنها: مصطفى جواد، مجلة لغة العرب جـ ٨ (١٩٣٠) ص ٣٢١).

(١٧) كان هذا الخان قائماً الى وقت قريب وموقعه بالقرب من تكريت، وقد جاء ذكره في رحلة إبن بطوطة (بيروت/ ١٩٦٨) ص ٢٢٧.

(١٨) إبن الفوطي: الحوادث الجامعة ص ١٥، ٢٣.

تأسيس المدرسة المستنصرية

المدرسة المستنصرية من الأبنية العباسية المشهورة، وسميت بهذا الاسم نسبة الى مؤسسها الخليفة العباسي المستنصر بالله، الذي أنشأها في الجانب الشرقي من بغداد على ضفة نهر دجلة حيث ما تزال قائمة الى اليوم.

شرع المستنصر ببناء مدرسته في سنة ٦٢٥ هجرية (١٢٢٧ ميلادية) وتكامل بناؤها فـ سنة ٦٣١ هجرية (١٢٣٤ ميلادية). وأنفق على بنائها أموالا كثيرة، وكان المتولي على عمارتها مؤيد الدين أبو طالب محمد بن العلقمي. ولما تكامل البناء احتفل بافتتاح المدرسة إحتفالا عظيماً في يوم مشهود حضره نائب الوزارة وسائر الولاة والحجاب والقضاة والمدرسون والفقهاء ومشايخ الربط والصوفية والوعاظ والقراء والشعراء، وحضر الخليفة في موكب فخم فأفتتحها وبين أقسامها واقافها ورتب موظفيها وعدد طلابها ومناهج التدريس فيها، كما نقل الى خزانة الكتب في هذه المدرسة عدة الاف من الكتب النفسية المحتوية على العلوم الدينية والادبية وعين عليها من يقوم بترتيبها وتصنيفها ليسهل تناولها والاستفادة منها (١٩)

كانت المدرسة المستنصرية جامعة إسلامية كبرى تدرس فيها علوم القرآن الكريم والفقة والحديث واللغة العربية والطب والرياضيات(٢٠)، وهي تعتبر أول مدرسة عرفتها الدولة الأسلامية خصصت لتدريس فقه المذاهب الأربعة لأهل السنة: وهي مذهب الأمام أبي حنيفة، والأمام الشافعي، والأمام احمد بن حنبل، والأمام مالك. فاراد الخليفة بذلك ان يجمع تلك المذاهب في مكان واحد ويزيد من تقاربها، وان يجعل المدرسة في حماية الدولة ومفتوحة لجميع الناس

(١٩) المرجع السابق ص ٥٣ ـ ٥٧ . السيوطي : المرجع السابق ص ٤٦٢ .
(٢٠) أنظر : الأربلي : المرجع السابق ص ٢١٢

نظام المدرسة

وضع الخليفة المستنصر بالله نظاماً دقيقاً لمدرسته، حيث تم تحديد عدد المدرسين والطلاب وقراء القرآن الكريم والحديث النبوي، وعين لها ناظرا ومشرفا وخازنا للكتب ومناولا وكاتباً، الى جانب المعمارين والفراشين والبوابين والطباخين وغيرهم. كما تم تحديد مرتبات ومخصصات هيئة التدريس والطلاب والعاملين فيها. وقد أوردت المراجع العربية ذلك بالتفصيل (٢١)، على أنه يمكننا تلخيص ذلك كما يأتي:

١ ـ يكون عدد الفقهاء (طلاب الفقه) ٢٤٨ متفقهاً، من كل طائفة (مذهب) منهم ٦٢ فقيهاً، لهم المشاهرة والجراية الدارة واللحم والمطبخ الدائر والحلوى والفواكه والفرش والصابون والمسرجة وأبريق النحاس مع راتب شهري قدرة ديناران يضاعف في شهر رمضان.

٢ ـ يعين لكل طائفة (مذهب) مدرس وأربعة معيدين ومرتب ينظم أمور الطلاب ويسهر على راحتهم وطعامهم ويراقبهم ليلا ونهارا.

٣ ـ يكون في دار القرآن ثلاثون صبياً أيتاماً لكل منهم الخبز والطبيخ مع راتب شهري

٤ ـ يعين في دار القرآن شيخ مقرىء صالح لتلقين القرآن الكريم له في كل يوم الخبز والطبيخ مع راتب شهري قدرة ثلاثة دنانير.

(٢١) أنظر : السيوطي : المرجع السابق ص ٤٦١ .
تاريخ الصفدي ، مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق (١٩٢٤)م ٤ ج ١ ص ٤١ ـ ٤٣ .
إبن الفوطي : المرجع السابق ص ٥٨ .

٥ – يعين مع الشيخ المذكور معيد يحفظ القرآن الكريم للصبيان له الخبز والطبيخ وراتب شهري.

٦ – يكون في دار الحديث شيخ عالي الأسناد يشتغل بعلم الحديث له في كل يوم الخبز واللحم مع راتب شهري قدرة ثلاثة دنانير

٧ – يساعد الشيخ المذكور قارئان للحديث لكل منهما الخبز والطبيخ مع راتب شهري.

٨ – يكون في دار الحديث عشرة أشخاص لكل منهم الخبز والطبيخ مع راتب شهري.

٩ – يعين في المدرسة طبيب حاذق مسلم له في كل يوم الخبز واللحم مع راتب شهري.

١٠ – يكون مع الطبيب عشرة أشخاص من المسلمين يشتغلون عليه بعلم الطب لهم الجرايات مثل طلاب الحديث.

١١ – يقوم الطبيب بمعالجة من يعرض له مرض من أرباب المدرسة وأوقافها

١٢ – يعطى للمريض مجاناً ما يوصف له من الأدوية والأشربة والأطعمة وغير ذلك.

١٣ – اشترط الخليفة أن يكون في هذه المدرسة من يشتغل بعلم الفرائض والحساب.

١٤ – جعل الخليفة للمدرسة أوقافاً كثيرة كان المسؤول عنها يسمى « صدر الوقوف » وقيل عن تلك الأوقاف أنها بلغت ما قيمته ألف ألف دينار، وان وارداتها في العام نيف وسبعون ألف مثقال ذهب

اقسام المدرسة وملحقاتها

كانت المستنصرية تتكون من أقسام متعددة تدرس فيها علوم مختلفة. فكان يدرس فيها فقه المذاهب الأربعة لكل واحد منها ربع من ارباع المدرسة فيكون اتباعه بمعزل عن المجاورين لهم. وكان التدريس في الغالب يتم في القاعات الكبيرة الواقعة في الجهة الجنوبية من البناية. أما دار القرآن فهي مندثرة في وقتنا الحاضر وما بقي منها إيوانها الملاصق لبناية المدرسة من جهتها الشمالية، وقد ذكرت في المراجع العربية فقال بعضهم عنها « الدار المجاورة لهذه المدرسة في الحد الأعلى منها لم ير أحد مثلها، ولا لأدراك وصفها أمد». وأنها كانت « أحسن بناء وإحكام قواعد من كل أثر اثره الخلفاء الماضون والأئمة المهديون». (٢٢) أما بالنسبة لدار الحديث فكانت تقع مع دار الكتب في احدى القاعات الواقعة في الجهة الشمالية من البناية وهذا الأحتمال الذي نرجحه يعتمد على ما ورد في بعض المراجع العربية من أن الخليفة « شرط أن يكون في دار الكتب التي هي الخزانة فيها عشرة يشتغلون بعلم الحديث النبوي ورتب عندهم شيخ عالي الاسناد يقرأ عليه الحديث». (٢٣) ويقع مقابل المدرسة إيوان مدرسة الطب حيث كان يقيم الطبيب والمشتغلون معه إضافة الى مخزن الأدوية (صيدلية) لتجهيز المرضى بالأدوية والأشربة اللازمة لمعالجتهم. وقد جاء في المراجع أنه في سنة ٦٣٣ هجرية « تكامل بناء الأيوان الذي أنشيء مقابل المدرسة المستنصرية، وعمل تحته صفة يجلس فيها الطبيب وعنده جماعة يشتغلون عليه بعلم الطب، ويقصده المرضى فيداويهم» (٢٤). وكان في المدرسة خزانة للكتب قيل ان عدد الكتب فيها بلغ ثمانون ألف مجلد وكانت في تكاثر مستمر ومن المحتمل أن يكون مكانها في الجهة الجنوبية حيث تكون القاعات الكبيرة الموجودة هناك ملائمة لذلك (٢٥)

ومن أقسام المدرسة المخزن الذي تحفظ فيه المواد والقرطاسية إضافة الى الأطعمة وقد ورد ذكره في المراجع العربية (٢٦). وكان في بناية المدرسة حمام للطلاب وقد كان من شروط المدرسة أن يكون فيها حمامي ومزين (٢٧). وكان للمدرسة مزملة لجلب المياه من نهر دجلة الى داخل المدرسة (٢٨). ويوجد في المدرسة مطبخ لعمل الطعام (٢٩). وعند مدخل المدرسة المستنصرية أقيمت الساعة العجيبة التي أوردت أوصافها بعض المراجع العربية والتي عملت لأرشاد الناس الى أوقات الصلاة والتي كانت تعمل ليلا ونهاراً باسلوب يدل على مدى ما وصل إليه التقدم الفني والعلمي في ذلك العصر (٣٠).

---

(٢٢) تاريخ الصفدي، مجلة المجمع العلمي بدمشق (١٩٢٤) م٤ ج ١ ص ٤٣ الأربلي : المرجع السابق ص ٢١٢ . إبن الغوطي : الحوادث الجامعة ص ٥٩

(٢٣) انظر : إبن الفوطي : المرجع السابق ص ٥٨ . الأربلي : المرجع السابق ص ٢١٢

(٢٤) إبن الغوطي : المرجع السابق ص ٨٢ . إبن العبري : المرجع السابق ص ٤٢٥ .

(٢٥) السيوطي : المرجع السابق ص ٤٦٢ . إبن الفوطي: المرجع السابق ص٥٣ ـ ٥٧

(٢٦) إبن الفوطي: المرجع السابق ص ٢٠٣ . إبن العبري : المرجع السابق ص ٤٢٥ .

(٢٧) إبن العبري : المرجع السابق ص ٤٢٥ . تاريخ الصفدي ، المرجع السابق ص ٤١ .

(٢٨) انظر: إبن الفوطي: المرجع السابق ص ٣٦٥

(٢٩) انظر: تاريخ الصفدي: المرجع السابق ص ٤١.

(٣٠) أنظر عن هذه الساعة: إبن الفوطي: المرجع السابق ص ٨٢ ـ ٨٣. الأربلي: المرجع السابق ص ٢١٢. القزويني: اثار البلاد واخبار العباد (ليدن /١٨٤٨) ص ٢١١.

تاريخ المدرسة

حظيت المدرسة المستنصرية بتاريخ حافل في مختلف العصور (٣١). واحتفظت لنا المراجع العربية والاجنبية بكثير من اخبارها. وفيما يلي أهم الاحداث وأبرزها مرتبة حسب السنين

١ ــ سنة ٦٣١ هجرية (١٢٣٣ ميلادية) افتتاح البناية وبداية التدريس فيها.
٢ ــ سنة ٦٣٣ هجرية (١٢٣٥ ميلادية) تكامل بناء الايوان الذي فيه ساعة المدرسة.
٣ ــ وفي تلك السنة ايضاً زار المدرسة كل من ناصر الدين (ملك دمشق) وركن الدين اسماعيل ابن بدر الدين لؤلؤ صاحب الموصل.
٤ ــ سنة ٦٣٤ هجرية (١٢٣٦ ميلادية) قام بزيارتها نورالدين ارسلان شاه بن عماد الدين زنكي صاحب شهرزور.
٥ ــ سنة ٦٣٥ هجرية (١٢٣٧ ميلادية) وقعت صاعقة على رواق المدرسة فشعثت منه موضعا،
٦ ــ سنة ٦٤٤ هجرية (١٢٤٦ ميلادية) سرق من المدرسة بعض المواد والمؤن بعد ان فتح سر باب مخزنها المقابل لباب سوق المدرسة.
٧ ــ سنة ٦٤٦ هجرية (١٢٤٨ ميلادية) فاض نهر دجلة ونبع الماء من اساس حائط المدرسة.
٨ ــ سنة ٦٥٤ هجرية (١٢٥٦ ميلادية) زادت مياه نهر دجلة وحدث فيضان في بغداد فصلى الناس عدة جمع في المدرسة المستنصرية وكانوا يحضرون بالسفن ، وامتلأت المدرسة بالمصلين واتصلت الصفوف بالسفن من باب المدرسة الى سوق المدرسة والى اخره.
٩ ــ سنة ٦٦٨ هجرية (١٢٦٩ ميلادية) عمل دولب تحت مسناة المدرسه ياخذ الماء من نهر دجله ويرمي الى مزملتها . وفي هذه السنة أيضاً تم تجديد أرضية فناء المدرسة واصلحت حيطانها .
١٠ ــ سنة ٦٧٢ هجرية (١٢٧٣ ميلادية) وصل الى بغداد السلطان المغولي أباقا خان إبن هولاكو وأمر بالأحسان الى الرعية ورفع الضرائب عنهم وكتب ذلك على جدار مسجد المدرسة .
١١ ــ سنة ٦٩٦ هجرية (١٢٩٦ ميلادية) زار المستنصرية السلطان المغولي غازان .
١٢ ــ سنة ٧٢٧ هجرية (١٣٢٧ ميلادية) زار الرحالة إبن بطوطة هذه المدرسة فوصفها وامتدح طريقة التدريس فيها .
١٣ ــ سنة ٧٤٠ هجرية (١٣٣٩ ميلادية) زارها حمد الله مستوفي القزويني وقال ان بناءها اجمل مباني بغداد يومئذ .

---

(٣١) أنظر عن تاريخ المدرسة المستنصرية من تأسيسها حتى العصر الحاضر: ــ إبن الفوطي: الحوادث الجامعة. السبكي: طبقات الشافعية ج٣.
إبن رجب: الذيل على طبقات الحنابلة ج٢ (مصر / ١٩٥٢). القرماني: أخبار الدول. إبن الطقطقي: الفخري. السيوطي: تاريخ الخلفاء. إبن الساعي: مختصر أخبار الخلفاء.
مصطفى جواد: المدرسة المستنصرية، مجلة سومر ١٤ (١٩٥٨) ص ٢٧ وما بعدها.
عباس العزاوي: تاريخ العراق بين احتلالين (بغداد). كوركيس عواد: المدرسة المستنصرية ببغداد، مجلة سومر (١٩٤٥) ج١ص ١٢٠ ــ ١٢٨. حسين أمين: المدرسة المستنصرية (بغداد / ١٩٦٠) ص ١٠٤ ــ ١١٦. المؤسسة العامة للآثار والتراث: مجلة سومر

١٤ ـ سنة ٩٤٠ هجرية (١٥٣٣ ميلادية) استولت جماعة محمد خان على بناية المدرسة واتخذوها حصناً لهم .
١٥ ـ سنة ١٠٥٨ هجرية وسنة ١٠٦٦ هجرية (١٦٤٨ و ١٦٥٥ ميلادية) ذكر هذه المدرسة الرحالة التركي أوليا جلبي عند زيارته لبغداد ، وقال ان احدى التكايا تعرف باسم (المولويخانة) كانت تطل على نهر دجلة في موضع مبهج ، حيث كانت تحتل قسماً من بناية المستنصرية وكانت قد أقيمت منذ سنة ١٠١٧ هجرية (١٦٠٨ ميلادية) من قبل محمد جلبي كاتب الديوان الذي إستقل ببغداد في عهد محمد بن أحمد الطويل .
١٦ ـ سنة ١١٤٦ هجرية (١٧٥٠ ميلادية) زار المستنصرية الرحالة نيبور ونسخ بعض كتاباتها .
١٧ ـ سنة ١١٩٣ ـ ١٢١٧ هجرية (١٧٧٩ ـ ١٨٠٢ ميلادية) جعلت هذه المدرسة خاناً وذلك في عهد الوالي العثماني ابي سعيد سلمان باشا الكبير .

١٨ ـ سنة ١١٩٣ هجرية (١٧٧٩ ميلادية) زار المستنصرية الرحالة الأنكليزي (أيفرز) وكانت خاناً فقال عنه أنه واسع عالي البنيان مزدان بالزخارف .

١٩ ـ سنة ١٢٣٢ هجرية (١٨١٦ ميلادية) زارها الرحالة الأنكليزي (بكنغام) فوجدها قد أصبحت خاناً وتعرضت للخراب وذكر أن على جهتها النهرية كتابة .
٢٠ ـ في اوائل القرن الثالث عشر الهجري (اوائل القرن التاسع عشر الميلادي) ذكر هذه المدرسة القنصل الفرنسي ببغداد (ريموند) حيث كانت تكية الدراويش (المولويخانة) تحتل قسماً من بنايتها .
٢١ ـ سنة ١٢٤٣ (١٨٢٧ ميلادية) ذكرها (روبرت مينان) عند زيارته لبغداد وقال عنها أنها كانت خاناً في ذلك التاريخ وأن مطبخها هو (دار المكس) .
٢٢ ـ سنة ١٢٥٧ هجرية (١٨٤١ ميلادية) زار المستنصرية الرحالة (فريزر) وكانت حينذاك داراً للمكس .
٢٣ ـ في أواسط القرن الثالث عشر الهجري (التاسع عشر الميلادي) ذكر الباحث الفرنسي (هوفر) أن المستنصرية كانت حينذاك مخزناً للكمرك .
٢٤ ـ سنة ١٢٧٢ هجرية (١٨٥٥ ميلادية) شاهد المستنصرية الرحالة (فيلكس جونز) فرآها متداعية البناء .
٢٥ ـ في القرن الرابع عشر الهجري (القرن العشرين الميلادي) أتخذت المستنصرية مخزناً لملابس الجنود كما سكنتها كتيبة من جنود الموصل .
٢٦ ـ في سنة ١٩٤٥ وضعت دائرة الأثار يدها على بناية المدرسة المستنصرية وشرعت بترميمها واصلاحها وصيانتها واعادة البناية الى حالتها الأصلية بعد أن استحدثت فيها أبنية وتشوهت معالم معظم مرافقها واقسامها فانتهت المراحل الأولى لتلك الأعمال في سنة (١٩٦٠) حيث أفتتحت البناية وأتخذت متحفاً للأثار الأسلامية .

أعمال الصيانة

إن أعمال الصيانة التي أجريت على هذه البناية والتي تمت في سنة (١٩٦٠) لم تكن كافية، وكانت بمثابة مراحل أولية استهدفت إعادة أكبر قدر من بناية المدرسة الى حالتها الأصلية . وقد تعرضت البناية في السنوات التي أعقبت إفتتاحها في سنة (١٩٦٠) الى مشاكل كثيرة بسبب إنخفاض مستوى أرضيتها بالنسبة للسوق المجاور لها والأبنية الحديثة القريبة منها، الى جانب إرتفاع مستوى حوض نهر دجلة نفسه، مما جعل البناية تقع تحت تأثير المياه الجوفية وبالتالي تعرضها للرطوبة التي أخذت تؤثر على جدرانها وزخارفها . لذلك وضعت المؤسسة العامة للاثار والتراث خطة شاملة لصيانة البناية والمحافظة عليها وشكلت هيئات أثارية فنية تقوم منذ عدة سنوات وحتى الوقت الحاضر بتنفيذ ذلك . وأهم الأعمال التي أجريت في هذه البناية :

١ ــ إزالة الأجزاء المستحدثة الموجودة داخل البناية وخارجها والتي تشوه البناية وطابعها القديم .

٢ ــ رفع التجاوزات الحاصلة على بناية المدرسة من الخارج وإزالة الأبنية الحديثة المتصلة معها وهدم السوق والدكاكين الملاصقة والداخلة في جدرانها الخارجية ، حيث تم إستظهار الجدران وصيانتها . (٣٢)

٣ ــ خلال هدم الأبنية الملاصقة إستظهرت فتحة الباب الذي ورد ذكره في المراجع العربية والذي كان يؤدي الى مخزن المدرسة ، فجرت صيانته وإعادته الى حالته الأصلية .

٤ ــ تمت صيانة الزخارف والكتابات واكمال ما فقد وتلف منها على غرار الأجزاء الأصلية الباقية منها .

٥ ــ إستعملت في إنجاز الأعمال المذكورة نفس المواد البنائية من اجر وجص مع مراعاة إستعمال المواد الصناعية في بعض الأجزاء وخاصة السمنت والمواد المانعة للرطوبة

٦ ــ روعي في أعمال الصيانة إستظهار الأرضية الحقيقية للبناية والتي جرى رفعها الى مستوى أعلى في السابق لمنع تسرب المياه الجوفية .

٧ ــ لقد سنحت الفرصة للهيئة العاملة في صيانة هذه المدرسة باجراء تنقيبات واستظهار أسس دار القران المستنصرية وذلك أثناء قيام وزارة الأوقاف بتجديد وصيانة مسجد الاصفية المشيد فوق دار القران المذكورة حيث تم العثور على أسس الدار التي أمتدت تحت بناية المسجد المذكور .(٣٣)

---

(٣٢) إبن الفوطي: الحوادث الجامعة ص ٢١٣

(٣٣) د. عيسى سلمان: تقديم، مجلة سومر م.٣ (١٩٧٤) ص (ل). م٣١ (١٩٧٥)ص (ح).

وصف المدرسة

أراد الخليفة المستنصر بالله أن تكون مدرسته متميزة عن بقية المدارس التي أنشئت قبلها ليس فقط في شروطها ونظامها ودراستها ، وانما أيضاً في بنائها وإتساعها وشكلها ومظهرها . وهذا ما جعل كثيرا من المؤرخين لا يخفون إعجابهم ببنائها بل يبالغون في وصفها . فقال أحدهم :

(ما بني على وجه الأرض أحسن منها ولا أكثر وقفا)(٣٤) . وقال آخر : (لم يعمر في الدنيا مثلها ، فعمرت على أعظم وصف في صورتها وآلاتها وإتساعها وزخرفتها وكثرة فقهائها ووقوفها) .(٣٥) وقيل عن بنائها أنها كانت : (محكمة البناء ، راسخة في الماء ، فسيحة الفناء ، وصفها غريب ، وحسن ترتيبها عجيب ، شامخة الى عنان السماء ..)(٣٦) وهكذا بلغت شهرة المستنصرية وعظمتها درجة كبيرة حتى قيل عنها أنها (أعظم من أن توصف ، وشهرتها تغني عن وصفها) .(٣٧)

---

(٣٤) القرماني: أخبار الدول ص ١٨٠.

(٣٥) إبن العبري: تاريخ مختصر الدول ص ٤٢٥. إبن الجوزي: مرآة الزمان ج٨ص ٧٣٩.

(٣٦) الأربلي: خلاصة الذهب المسبوك ص ٢١٢.

(٣٧) ابن الطقطقي: الفخري ص ٢٦٧

تخطيط المدرسة

إذا ألقينا نظرة على تخطيط المدرسة المستنصرية نجد أن البناية الحالية تحتل مساحة من الأرض مستطيلة الشكل تقريباً ، طولها من الخارج (١٠٤ر٨٠) متراً ، وعرضها في الجهة الشمالية الغربية (٤٤ر٢٠) مترا ، وتتسع في الجهة الجنوبية الشرقية فيصبح عرضها (٤٨ر٨٠) مترا . وتكون مساحتها الكلية حوالي (٤٨٣٦) مترا مربعا .

يتوسط البناية ساحة مكشوفة (الصحن) وهي ذات شكل مستطيل منتظم طولها (٦٢ر٤٠) مترا وعرضها (٢٧ر٤٠) مترا ، فتكون مساحتها الكلية (١٧١٠) مترا مربعا ، وهي بذلك تزيد على ثلث المساحة الكلية للبناية .

يلي الصحن من حيث الأتساع بيت الصلاة (مسجد المدرسة) الواقع بمحاذاة الضلع الجنوبي الغربي المطل على نهر دجلة . وهو مستطيل الشكل طول جدار القبلة فيه (٢٣) مترا وعرض المسجد (٨ر٩٠) مترا . ويطل هذا المسجد على الصحن بواجهة تتكون من دعامتين ضخمتين طول كل واحدة منهما ستة أمتار وعرضها (٢ر٤٠) مترا . وبين هاتين الدعامتين والجدارين على الجانبين أقيمت ثلاثة عقود مدببة كبيرة تتوج الواجهة المذكورة . ومما يلاحظ في تخطيط هذا المسجد وجود انحراف قليل نحو الغرب في إتجاه القبلة بالنسبة للاتجاه المطلوب (٣٨) .

ويجلب النظر بعد ذلك ، القاعات الكبيرة الواقعة في الجهة الجنوبية الشرقية ، وعددها سبع قاعات معظمها ذات شكل مستطيل ويتقدمها رواق شاهق الارتفاع طوله (٣٣ر٨٠) مترا وعرضه (١ر٤٠) مترا . وهذه القاعات كبيرة الحجم يتضح لنا ذلك من مساحاتها التالية :

القاعة الأولى ١٣ر٨٠ ٤ر٣٠ مترا مربعاً .

القاعة الثانية ٦ ٦ مترا مربعاً لها ممر طوله (٨ر١٠) مترا وعرضه (١ر٢٠) مترا يؤدي الى بابها .

القاعة الثالثة ٦ر١٠ ٣ر٨٠ مترا مربعاً .

القاعة الرابعة ١٢ر٨٠ ٧ر٨٠ مترا مربعاً .

القاعة الخامسة ١٣ر٨٠ ٦ مترا مربعاً .

القاعة السادسة ١١ر٨٠ ٨ مترا مربعا

القاعة السابعة ١١ر٨٠ ٨ر٣٠ مترا مربعاً .

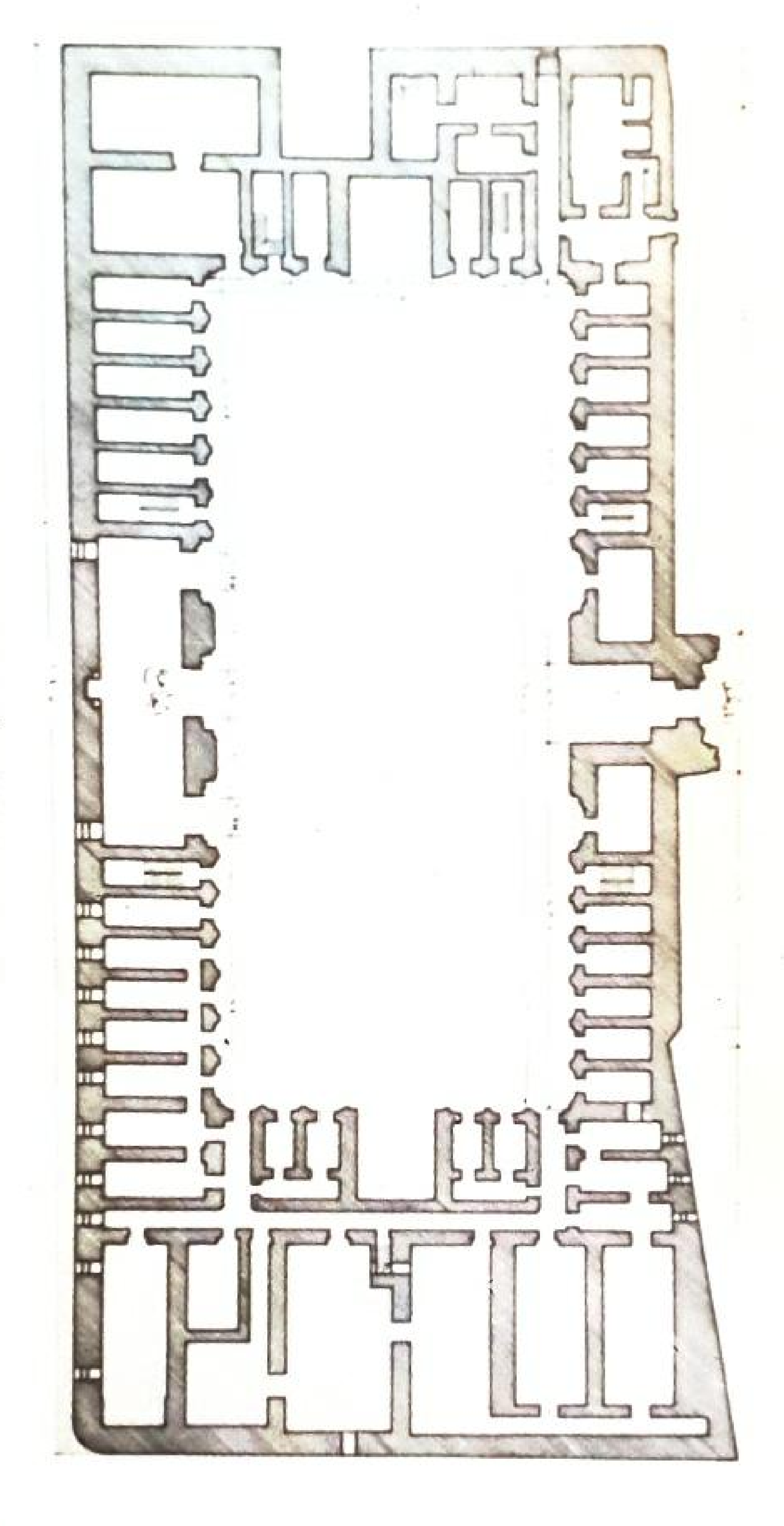
---

(٣٨) إن إنحراف إتجاه القبلة في مسجد المدرسة المستنصرية يبلغ نحو ثماني عشرة درجة باتجاه الغرب ، وهو إختلاف قليل وليست له اهمية ، لأننا كثيراً ما نلاحظ مثل ذلك يحصل في المساجد الأولى ، وحدث هذا حتى في مسجد المنصور ، بمدينة السلام . وبالرغم من تطور الحضارة الأسلامية ومعرفة الآلات الدقيقة واستعمالها في تحديد الأتجاهات فان إتجاه القبلة حدث في بعض المساجد وفي مختلف العصور .

وفي الجهة الشمالية نجد قاعات أخرى أقل عددا مما هو موجود في الجهة الجنوبية السالفة الذكر . منها قاعتان كبيرتان عند الركن الغربي مستطيلتا الشكل مساحة الأولى (١١ر٩٠ ٣٠ر٤) مترا مربعا ، ومساحة الثانية (١١ ٩٠ر٥) مترا مربعا . وهناك أربع حجرات كبيرة تقع في الركن الشمالي . مساحة الأولى (٧٠ر٤ ٧٠ر٣) مترا مربعا ، والثانية (٣٠ر٥ ٨٠ر٤) مترا مربعا ، والثالثة (٤٠ر٧ ٤٠ر٣) مترا مربعا ، والرابعة (٧٠ر٥ ١٠ر٣) متر مربعا . يوجد فاصل بين كل من الأولى والثانية من جهة والثالثة والرابعة من جهة أخرى وهو على شكل ممر مستطيل عرضه (٤٠ر١) مترا يؤدي الى الصحن . كما وتوجد قاعتان كبيرتان على جانبي مدخل البناية وهما مستطيلتا الشكل مساحة كل منهما (٧٠ر٦ ٣٠ر٤) مترا مربعا .

أما الأواوين الموجودة في هذه المدرسة فهي ثلاثة ، يقع إثنان منها في داخل البناية ويطلان على الصحن وهما متشابهان ومتساويان في المساحة تقريبا ، وارتفاعهما يبلغ حوالي تسعة أمتار . فمساحة الأيوان الشمالي هي (١٠ر٧ ٦٠ر٥) مترا مربعا . ومساحة الأيوان الجنوبي (٧ ٦) مترا مربعا . والأيوان الثالث يقع خارج البناية خلف الأيوان الشمالي وهو إيوان دار القران من ملحقات المستنصرية ، وهو متشابه مع الأيوانين السابقين ، إذ يرتفع بنفس الارتفاع ومساحته (٧ ٦٠ر٥) مترا مربعا . وعلى غرار هذه الأواوين من حيث المساحة والشكل يوجد ما يشبه الأيوان فتح فيه المدخل الرئيسي للمدرسة المستنصرية ويقع في وسط الضلع الشمالي الشرقي للبناية تقريبا .

وتحتوي المدرسة على حجرات وغرف صغيرة كثيرة ، فتحات مداخلها مطلة على الساحة الوسطية (الصحن) وهي مرتبة على شكل أربع مجموعات في كل ركن من الأركان الأربعة للبناية ، مجموعتان منها تقعان على يمين ويسار المدخل ، والمجموعتان الأخريان تقعان على يمين ويسار مسجد المدرسة وهذه الحجرات والغرف من طابقين ، على أن غرف الطابق الأعلى هي أصغر حجما لوجود ممر يتقدمها يطل بفتحات متناظرة على صحن المدرسة وهو يوصل الى أبواب الغرف حيث يتم الصعود إليه عن طريق الأدراج النافذة من الصحن . والجدير بالذكر هنا أن تلك الحجرات والغرف لا تعلو المدخل والأواوين وبيت الصلاة و لقاعات الكبيرة والرواق الذي يتقدمها .



١ - مخطط الطابق الأول (الأرضي) للمستشفى

المقياس ١/٤٠٠

٢ ـ مخطط الطابق الثاني للمستنصرية

بنايـة المدرسـة

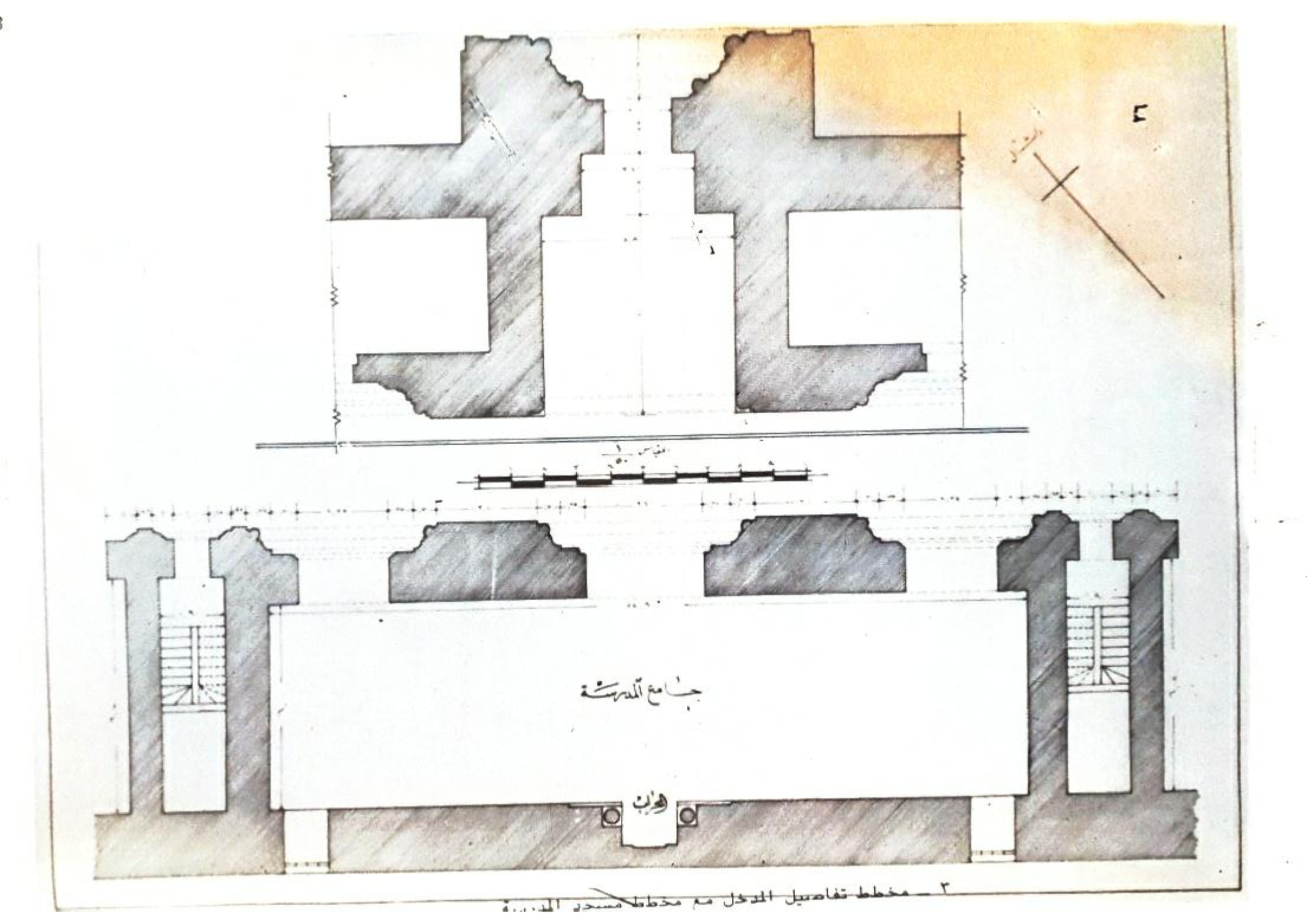
بنيت المستنصرية باجر أصفر اللون جيد الصناعة متنوع الاشكال والاحجام حسب المكان الموجود فيه والغرض من استخدامه ، إذ إستعمل في بناء الأعمدة الأسطوانية والدعامات والعقود المختلفة . ومما تميزت به هذه البناية هو عدم تغطية سطوح الجدران بطبقة من الجص أو أي طلاء أخر ، إذ جرى تزيينها بزخارف أجرية تعتبر من المظاهر الفنية لذلك العصر . والملاحظ أن الجدران الخارجية للبناية ضخمة ومرتفعة ومزينة بالزخارف في بعض اجزائها وخاصة القسم العلوي منها الذي يمتد عليه شريط من الكتابات التذكارية . ويمكننا القول بأن ضخامة الجدران وعدم فتح نوافذ فيها فيما عدا الجدار المطل على نهر دجلة إنما قصد به منع وصول الضوضاء الخارجية الى داخل المدرسة ولضمان اكبر قسط من الراحة والسكون والهدوء للمقيمين فيها .

المدخل

يقع مدخل المدرسة في منتصف ضلعها الشمالي الشرقي تقريبا ، وهو شاهق البناء يرتفع عن باقي أجزاء البناية من الأعلى حتى يصل في إرتفاعه الى ستة عشر متراً ، كما أنه يبرز عن الجدار نحو الخارج بمقدار ثلاثة أمتار ونصف المتر تقريبا وهذا ما يجعل مدخل المستنصرية محصناً رغم عدم وجود فكرة تحصين بوابات الأبنية الدينية لدى المسلمين . ويبدو أن أهمية كبيرة أعطيت لهذا المدخل من حيث بنائه وشكله وزخارفه لغرض بيان مدى إهتمام الخليفة بهذه المدرسة وإعطاء أهمية لها يدركه المرء عند دخوله لبنايتها .

يظهر المدخل بواجهة مزخرفة ، يحيط بها إطار من زخرفة تمثل أشكالا هندسية غائرة كبيرة الحجم نسبياً . وهذا الأطار يحصر بداخله عقود كبيرة مدببة الشكل تتوج المدخل . تمتد أرجلها (أطرافها) الى أسفل الجدار ، وجميعها مزخرفة ، كما أن المساحة بينها وبين الأطار السالف الذكر من الأعلى هي الأخرى قد ملئت بالزخارف أيضاً . أما فتحة الباب فهي ذات عقد مدبب وتقع بأسفل الواجهة وتحف بها من الجوانب ومن أعلاها زخارف كذلك ، وتوجد بين هذه الزخارف والعقد المدبب في أعلى الواجهة كتابة تذكارية بخط الثلث تظهر فيها الكلمات فوق مهاد من أغصان وفروع نباتية مورقة زادتها رونقاً وجمالا . وهي موضوعة داخل عشرة أسطر أو أشرطة افقية .

ويجتاز الداخل الى المدرسة ما يشبه الأيوان له سقف مزخرف بشكل قبو مدبب ، يطل على الصحن بعقد كبير مدبب يرتكز طرفاه على عمودين من الاجر بشكل اسطوانة ملتصقة بالجدار . وهذا العقد الكبير يتوسط واجهة فخمة للمدخل مطلة على الصحن ، كما أن واجهتي القاعتين اللتين على جانبي المدخل تظهر مندمجة معها وهي مكسوة بالزخارف أيضاً .



٣ ـ مخطط تفاصيل المدخل مع مخطط مسجد المدرسة

الصَحن

عندما يجتاز الداخل الى المستنصرية مدخلها يصل الى ساحة مكشوفة واسعة مستطيلة الشكل (الصحن) وهذه الساحة هي المصدر الرئيس للضوء والهواء بالنسبة لمشتملات المدرسة ، كما ان جميع فتحات الابواب تؤدي الى هذه الساحة الوسطية بصورة مباشرة أو غير مباشرة .

كان في وسط هذه الساحة مزملة تنقل الماء من نهر دجلة لتزويد ما يحتاجه من فيها من ماء لأستعماله في الشرب أو الغسل وغير ذلك . وقد ورد في أخبار سنة ٦٦٨ هجرية (١٢٦٩ ميلادية) أنه فيها (تقدم علاء الدين صاحب الديوان بعمل دولاب تحت مسناة المدرسة المستنصرية يقبض الماء من دجلة ويرمي الى مزملتها ، ثم يجري تحت الأرض الى بركة عملت في صحن المدرسة ثم يخرج منها الى مزملة عملت تجاه إيوان الساعات خارج المدرسة) .(٣٩)

الأواوين

يطل على صحن المدرسة إيوانان ، يقع أحدهما في الجهة الشمالية الغربية ، والاخر في الجهة الجنوبية الشرقية . والأيوان في اللغة هو قاعة مفتوحة من أحد جوانبها وذات سقف مرتفع وتطل على فناء . ذكر الزمخشري أن معنى الأيوان هو (بيت مؤزج غير مسدود الوجْه ، وكل سناد لشيء فهو إوان له) .(٤٠) وقد مزج كثير من المؤرخين بين الأيوان والقاعة ولم يفرقوا بينهما في كتاباتهم التى وصلتنا .(٤١)

يتكون كل ايوان من اواني المستنصرية المطلين على الصحن من واجهة مستطيلة يزيد ارتفاعها عن ارتفاع البناية قوامها عقد كبير مدبب الشكل يرتكز على دعامتين اسطوانيتين من الاجر على هيئة عمودين ملتصقين بالجدار ، وملئت المساحة الموجودة فوق العقد المذكور بزخارف هندسية تزينها فروع نباتية . وسقف الأيوان على شكل قبو مدبب ومزين بالزخارف أيضا .

أما إيوان دار القران المطل على خارج المدرسة فهو كثير الشبه بالأيوانين المذكورين وهو أيضا مزين بزخارف هندسية ونباتية لكنها تختلف في عناصرها عن زخارف الأيوانين المطلين على الصحن .

---

(٣٩) إبن الفوطي: الحوادث الجامعة ص ٣٦٥.

(٤٠) الزمخشري: أساس البلاغة (مصر/ ١٩٢٢) جـ١ ص ٢٦

(٤١) أنظر عن ذلك: الدكتور أحمد فكري: مساجد القاهرة ومدارسها جـ٢ (العصر الأيوبي/ (مصر/ ١٩٦٩) ص ١٧٨ ـ ١٨١

المسجد

يقع في الجهة الجنوبية الغربية للبناية التي هي جهة [illegible] بيت للصلاة يواجه الداخل الى المستنصرية . ويطل على الصحن بواجهة تكاد تحتل ثلث الضلع الجنوبي الغربي للصحن . وتتألف هذه الواجهة من دعامتين ضخمتين تحصر بينها وبين الطرفين الأيمن والأيسر من بيت الصلاة ثلاثة عقود كبيرة بمثابة مداخل مفتوحة تؤدي الى الصحن . عرض فتحة العقد الأوسط الكبير (٦٠ / ٣) مترا . بينما عرض فتحة كل عقد من العقدين اللذين على جانبيه هي (٢٥٤٠) مترا .

وبيت الصلاة مستطيل الشكل مساحته (٢٣ ٩٠ر٥) مترا مربعا ويحتوي على محراب مجوف في منتصف جدار القبلة ذو شكل مستطيل طوله (٢٠ر٥) متر وعرضه (٩٠ر١) متر . ويتوجه عقد مدبب يرتكز على دعامتين من الاجر بشكل عمودين ملتصقين بالجدار . كل واحد منهما في جهة ويبلغ طول العمود (٩٠ر٢) مترا .

وسقف بيت الصلاة تهدم وزالت معالمه خلال فترات الأهمال التي مرت بها المستنصرية وقد أعيد بناء هذا السقف أثناء أعمال الصيانة التي أجريت للبناية في سنة (١٩٦٠) وجعل بشكل سطح مستوي . ومن المحتمل أنه كان بشكل قبو أسوة بسقف الأواوين والقاعات .

إن الموقع الحالي لبيت الصلاة والذي تم إختياره بهذا الشكل المتميز والمقصود . يتيح بلا شك الاستفادة من الصحن في تادية الصلاة عندما يضيق بيت الصلاة بالمصلين . والجدير بالذكر أن المستنصرية كانت بمثابة مسجد جامع حيث إشترط الخليفة (أن لا يخطب بها إلا هاشمي عباسي)[٤٢] وذلك في أيام الجمعة والعيد . وهناك اشارات تاريخية تؤيد إستعمالها [illegible]

الحجـرات والغرف الصغيرة

تحتوي المستنصرية على حجرات وغرف كثيرة بنيت في طابقين وتحيط بالصحن من جميع الجهات صممت أماكنها بين الأيوانين والمدخل وبيت الصلاة، يبلغ عدد حجرات الطابق الأول (٤٠)حجرة، وفي الطابق الثاني (٣٦)غرفة. وقد وضعت جميعها على شكل مجموعات منفصلة عن بعضها، فنرى المجموعة الأولى على يمين الداخل للبناية، والثانية على اليسار، والثالثة على يمين بيت الصلاة، والرابعة على يساره، والخامسة على يمين الأيوان الشمالي، والسادسة على يساره، والسابعة على يمين الأيوان الجنوبي، والثامنة على يساره. ويتم الوصول الى غرف الطابق الثاني عن طريق ستة أدراج، يقع اثنان منها على طرفي المدخل من جهة اليمين واليسار، ويقع اثنان آخران على الجهتين اليمنى واليسرى من الأيوان الشمالي، ويقع اثنان آخران على يمين ويسار بيت الصلاة. والملاحظ أن غرف الطابق الثاني

(٤٢) إبن الفوطي : الحوادث الجامعة ص ٣٨ .

(٤٣) المرجع السابق ص ٥٨ ، ٣١٨ . ابن العبري : المرجع السابق ص ٤٤٢ . ابن رجب : المرجع السابق ج٢ ص ٢٦٠

أصغر حجماً من الحجرات التي بأسفلها، ذلك لأن الطابق الثاني يحتوي على ممرٍ يتقدم الغرف يتم بواسطته الوصول الى ابواب تلك الغرف المفتوحة عليه، وهو في الحقيقة مقسم الى ستة ممرات لكل واحد منها درج خاص به، ويتراوح عرض الممر بين (١.٣٠ ـ ١.٥٠) متراً، وقوام هذا الممر سلسلة من دعائم تحصر بينها عقوداً مدببة تطل على الصحن، يبلغ عرض فتحة كل عقد حوالي (١.٧٠) متراً. والجدير بالذكر هنا أن جميع الحجرات والغرف تطل بفتحات أبوابها على الصحن، وانها لا تحتوي على شبابيك، سوى تلك التي تطل على نهر دجلة.

القاعات الكبيرة

توجد في الجهة الجنوبية الشرقية من بناية المدرسة سبع قاعات كبيرة ذات سقوف مرتفعة تصل الى ارتفاع طابقي البناية، ولها ابواب مفتوحة على رواق مرتفع مثلها. وهي مختلفة في مساحاتها واشكالها، كما ان لها سقوفاً متنوعة الأشكال كذلك. حيث نجد أن القاعة الأولى إبتداء من ضلع القبلة ذات مساحة مستطيلة لها سقف بشكل قبو متقاطع في خط مستقيم توجد في وسطه فتحة لدخول الضوء والهواء، والقاعة الثانية مربعة الشكل سقفها مماثل لسابقتها، والقاعة الثالثة مربعة الشكل تقريبا لها سقف بشكل قبوين متقاطعين يشبه شكل الهرم الرباعي وفي وسطه فتحة الضوء والهواء. وهاتان القاعتان الثانية والثالثة هما أصغر القاعات جميعاً. اما القاعة الرابعة فهي مستطيلة الشكل واكبر القاعات جميعاً وقد سقط سقفها الأصلي وتمت صيانتها ببناء سقف مسطح لها. والقاعة الخامسة ذات مساحة مستطيلة لها سقف مماثل لسقف القاعة الثالثة مع ملاحظة كونه مستطيل الشكل والفتحة الموجودة فيه مستطيلة الشكل أيضاً. اما القاعتان السادسة والسابعة فسقف كل منهما على شكل قبوين متقاطعين لكنهما لا يشكلان نقطة تتلاقى فيها الخطوط الممتدة من أركان القاعة لأن القبوين غير متساويين بسبب إختلاف طول أضلاع القاعة ذات المساحة المستطيلة الشكل. كما فتحت نوافذ في سقف كل قاعة منهما. والملاحظ في هذه القاعات أن القاعة الثانية منها ذات مدخل مزين بزخاف مميزة بالنسبة لمداخل القاعات الأخرى. هذا ويوجد باب صغير بين القاعة الرابعة والخامسة يؤدي الى سلم من بضع درجات ينتهي بشباك يطل على القاعة الخامسة لعله الذي ذكره المؤرخون في كتبهم واشاروا الى أن الخليفة كان يجلس فيه لسماع الدروس احياناً.(٤٤)

(٤٤) انظر إبن رجب: المرجع السابق جـ٢ ص ٣٦٠.

الرواق

يقع هذا الرواق أمام القاعات الكبيرة الموجودة في الجهة الجنوبية الشرقية للبناية حيث فتحت عليه أبواب تلك القاعات، وهو يتصل بصحن المدرسة بواسطة ممرين احدهما على يمين الأيوان الجنوبي، والآخر على يسار الأيوان المذكور.

والرواق عبارة عن ممر طوله (٣٤،٦٠) متراً، وعرضه (١،٤٠) متراً، وسقفه مرتفع يصل ارتفاعه تسعة امتار، وهذا السقف على شكل قبو مدبب فيه اربع فتحات (نوافذ) تقع على مسافات منتظمة.

وقد ورد ذكر هذا الرواق في المراجع التاريخية. ففي سنة ٦٣٣ هجرية (١٢٣٥ ميلادية) حضر الى بغداد الأمير ركن الدين اسماعيل بن بدرالدين لؤلؤ صاحب الموصل ودعي لزيارة المدرسة فحضر وجلس على إيوانها وقرأ القراء وذكر المدرسون الدروس ثم طاف في رواقها.(٤٥) وجاء في حوادث سنة ٦٣٥ هجرية (١٢٣٧ ميلادية) أنه في تلك السنة وقعت صاعقة على الرواق بالمدرسة المستنصرية فشعثت منه موضعا.(٤٦)

المسناة

يمتد على طول شاطيء دجلة المحاذي للمدرسة المستنصرية بناء ضخم سميك من الآجر لعله اقيم لأسناد وحماية البناية من ناحية كما ان بعد النهر عن البناية حوالي (١٢) متراً يستدعي بناء مسناة لأيجاد طريق أو ممر يسير علي الناس خاصة وان واجهة المدرسة المطلة على النهر مزينة بكتابات تذكارية فيستطيعون مشاهدتها وقراءة نصوصها. وقد ورد ذكر هذه المسناة في حوادث سنة ٦٨٨ هجرية (١٢٦٩ ميلادية) حيث جاء فيها أن علاء الدين صاحب الديوان أمر «بعمل دولاب تحت مسناة المدرسة المستنصرية يقبض الماء من دجلة ويرمي الى مزملتها ثم يجري تحت الأرض الى بركة عملت في صحن المدرسة».(٤٧)

---

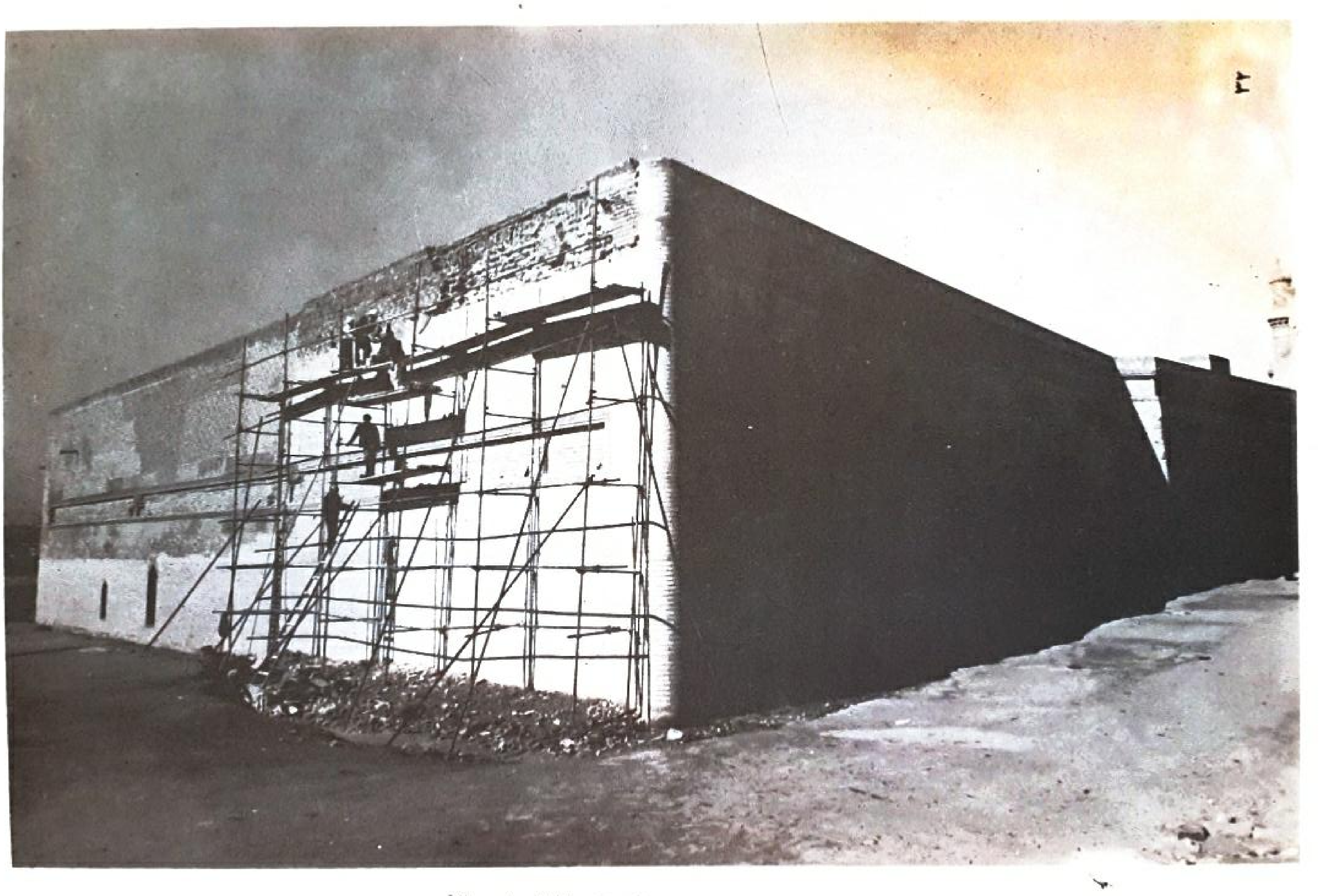
(٤٥) إبن الفوطي: الحوادث الجامعة ص ٨١.

(٤٦) المرجع السابق ص ١٠٠.

(٤٧) المرجع السابق ص ٣٦٥.



٤ ـ الجدار الشمالي الشرقي بعد الصيانة



د ـ الجدار الجنوبي الشرقي اثناء الصيانة

توزيع أقسام البنايـة

يبدو للناظر الى الرسم التخطيطي للدرسة المستنصرية واستناداً الى الروايات التاريخية، أن البناية مقسمة الى أرباع منفصلة «ربع القبلة الأيمن الى الشافعية، والرابع الثاني بسرة القبلة للحنفية، والربع الثالث يمنة الداخل للحنابلة، والربع الرابع يسرة الداخل للمالكية(٤٨)»، وكان من شروط الخليفة المستنصر بالله أن تكون المدرسة مخصصة للمذاهب الأربعة لكل مذهب منها (٦٢) شخصاً ورتب لهم المدرسين والمعيدين، فيكون مجموع الفقهاء (الطلاب) (٢٤٨) شخصاً، سكنوا جميعاً في المدرسة ولكل منهم المشاهرة واللوازم الضرورية لمعيشتهم ودراستهم. واذا كان مجموع الحجرات والغرف المعدة للسكن يبلغ حوالي ثمانين حجرة وغرفة وأن مساحة الواحدة منها تتسع لثلاثة أو أربعة أشخاص، فان المجموع الكلي للأشخاص المقيمين فيها حوالي (٢٧٥) ساكناً، بينهم (٢٤٨) طالباً والباقي من مدرسين ونوابهم ومعيدين وناظر وموظفين آخرين، وبذلك تتسع المدرسة للجميع.

وكان التدريس يجري في القاعات الكبيرة الموجودة في الجهة الجنوبية الشرقية للبناية، والتي مزج المؤرخون بينها وبين الأواوين(٤٩)، يؤيد ذلك الشباك الذي كان يجلس فيه الخليفة ويستمع الى الدروس والموجود حالياً في إحدى القاعات الكبيرة السالفة الذكر(٥٠).

وربما في هذه القاعات الكبيرة كانت خزانة الكتب اذ هي أصلح مكان لها في البناية، ومن المحتمل أن دار الحديث كانت في هذه القاعات الكبير، أو في القاعتين الواقعتين في الركن الغربي للبناية.

وكان مخزن المدرسة الذي يحتوي على جميع المواد والقرطاسية ولوازم الدراسة، في ركن المدرسة الواقع في الجهة الشمالية منها حيث كشف مؤخراً الباب المؤدي الى ذلك القسم من البناية والمطل على السوق المجاور والذي ذكر في المراجع التاريخية(٥١) ومن المحتمل أن يكون المطبخ في ذلك القسم أيضاً.

أما بالنسبة الى مسجد المدرسة فهو واضح المكان، كما عثر على أسها مؤخرا وهي تمتد تحت المسجد الجامع الذي يعود تاريخه الى الفترة المتأخرة والذي اقيم بعد إندثار الدار المذكورة بسبب الأهمال الذي أصاب المستنصرية في الماضي.

---

(٤٨) المرجع السابق ص ٥٨.

(٤٩) ذكر الرحالة ابن بطوطة انه شاهد المدرسة المستنصرية ببغداد المخصصة للمذاهب الأربعة «لكل مذهب إيوان فيه المسجد وموضع التدريس وجلوس المدرس في قبة خشب صغيرة على كرسي عليه البسط...» (الرحلة ص ٢١٩) وهو وصف غير دقيق ولعله قصد بالأيوان القاعة الكبيرة. وقد سبقت الأشارة الى ما أورده صاحب كتاب الحوادث الجامعة (ص ٩١) من أن الخليفة المستنصر بالله له شباك على إيوان الحنابلة يسمع الدرس منهم، وهذا الشباك ما يزال موجود يتم الصعود إليه من الرواق الموجود أمام القاعات الكبيرة في الجهة الجنوبية الشرقية حيث يطل على احدى تلك القاعات.

(٥٠) انظر إبن الفوطي: الحوادث الجامعة ص ٩١.

(٥١) المرجع السابق ص ٢١٣.

الزخارف

تزخر بناية المدرسة المستنصرية بزخارف متنوعة تبعث الاعجاب وتدل على ذوق فني رفيع، كما أنها تشير بوضوح الى مدى التقدم والتطور الذي حدث على الزخارف في تلك الفترة التاريخية سواء كان ذلك في صناعتها أو في الأشكال الزخرفية نفسها.

إن هذه الزخارف جميعها مصنوعة من قطع الآجر (الطابوق)، ووهو المادة المستعملة في البناء أيضاً والمتوفرة في منطقة بغداد وبنوعية جيدة، وقد أدرك المعمار والفنان البغدادي خصائص هذه المادة فاستطاع الاستفادة من ذلك وتمكن من عمل أشكال متنوعة سواء من إختلاف أوضاع قطع الآجر نفسها، أو نحتها وتقطيعها الى أشكال متنوعة وبأحجام متبانية وفق خطة هندسية محكمة الصناعة تؤلف في مجموعها الشكل الزخرفي المطلوب، إضافة الى حفر الزخارف على الآجر فيؤلف الأختلاف بين مستوياتها تبايناً بين الضوء والظل يحقق وضوحاً وتجسيماً للعناصر الزخرفية.

نشاهد هذه الزخارف في واجهة الداخل وواجهات الحجرات والغرف المطلة على الصحن، وواجهات الأواوين وبواطنها، وواجهة مسجد المدرسة، وواجهة احدى القاعات الكبيرة في الجهة الجنوبية الشرقية للبناية، المطلة على نهر دجلة، إلى جانب أشرطة من الكتابات التذكارية والزخرفية تزين أعلى الجدران الخارجية لبناية المدرسة.

يمكنناتصنيف زخارف المستنصرية الى مجموعتين من حيث عناصرها وأشكالها، وهي: الزخارف الهندسية، الزخارف النباتية.

فقد إستعملت الزخارف للهندسية بكثرة في بناية المستنصرية حتى أصبحت طاغية على غيرها من العناصر الزخرفية، وهي ذات أشكال متنوعة تعتمد معظمها في أساس تكوينها على الدائرة واقطارها والخطوط المنبعثة من مركزها والتي تؤلف من تقاطعها وتداخلها أطباقاً نجمية ومضلعات هندسية بلغت درجة كبيرة من التطور في هذا العصر العباسي الأخير.

تحتفظ المستنصرية بحوالي عشرين نوعاً من الاشكال الهندسية الزخرفية تتكون من نجوم متنوعةومضلعات هندسية متعددة، نجد بعضها ذات حدود أو إطارات بارزة تفصل بين الاشكال والعناصر، إضافية الى تزيينها جميعاً بالزخارف النباتية حيث ملئت بها بواطن النجوم والمضلعات الهندسية.

تم تنسيق هذه الأنواع من الزخارف الهندسية بطريقة تساعد على بسطها في مختلف المساحات والسطوح المعدة لها مهما كان إتساعها وشكلها، فقد كان لكل نوع منها وحدة زخرفية قابلة للتكرار من جهاتها الأربع، فتؤلف أربع وحدات منها الشكل الزخرفي العام، ولهذا أطلقت عليها تسمية حديثة من قبل المعمار البغدادي وهي «الربع». ويكون شكل هذه الوحدة الزخرفية مربعاً أو مستطيلاً، في كل ركن من اركانه ربع شكل نجمي أو مضلع هندسي منتظم. ونتجة لأختلاف تلك الوحدات الزخرفية من حيث شكلها وتراكيبها وضعت لها تسميات حديثة أصبحت متعارفاً عليها بين المعماريين في بغداد، نذكر هنا على سبيل المثال الوحدة الزخرفية المعروفة

«ربع الشمسة» التي اشتقت تسميتها من النجمة الكثيرة الرؤوس والتي تشبه الشمس. وكذلك (ربع العليات) ألتي اتخذت تسميتها من تكرار كلمة (علي) أربع مرات بخط كوفي مربع ويشكل يتصل بعضها مع بعض. وهناك (ربع أبو السرج) حيث تظهر فيه النجمة محاطة بمضلعات يشبه الشكل العام لكل واحد منها شكل السرج المستعمل على ظهور الخيل. ويوجد ايضا (ربع أبو الطبل) الذي يتميز بوجود مضلعات هندسية فيه ذات خمسة أضلاع تؤلف شكلاً يشبه الآلة الموسيقية المعروفة بالطبل. وهناك ايضا (ربع المخرز) أو (الحصيري) والذي يشبه في شكله (الحصير) أو (النسيج)، هذا إضافة الى كثير من الأرباع الأخرى ذات الأسماء المحلية أو العامية أو غير العربية.

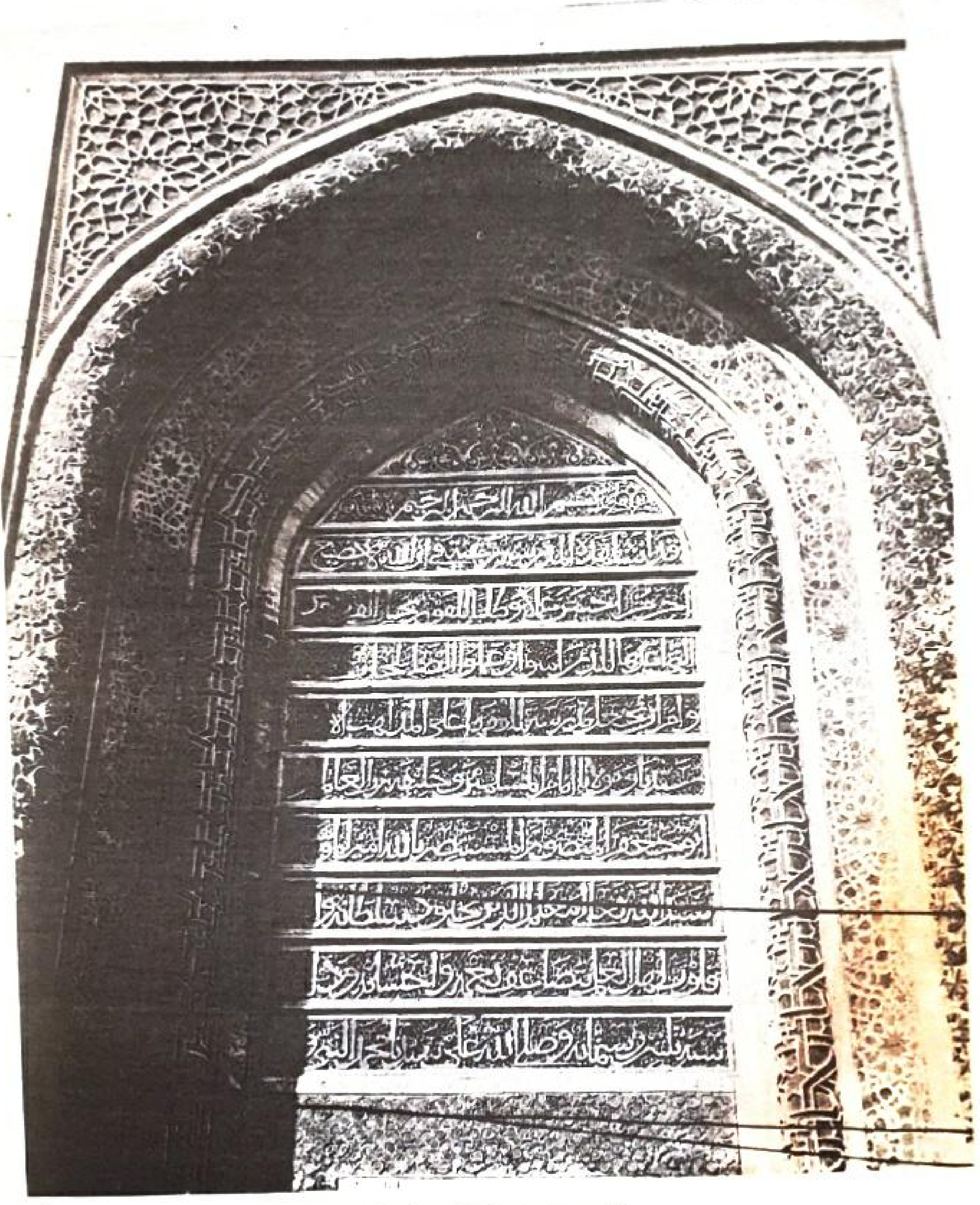
أما الزخارف النباتية فنجدها في الغالب موضوعة داخل مساحات هندسية كالنجوم والمضلعات،وأحيانا تظهر فوق أرضية الكتابات وبين حروفها، وقد نراها بصورة مستقلة تملأ بعض المساحات و الفراغات

تعتمد معظم هذه الزخارف النباتية على عنصر المروحة النخيلية (البالمت Palmette) بأشكاله البسيطة والمفصصة والمركبة. وأبرز مميزات هذه الزخارف أشكالها المتناظرة وعناصرها المتقابلة وتشكيلاتها المتداخلة والمتشابكة التي أبدع الفنان في تكوينها ونجح في تكرارها بواسطة استمرار امتداد الأغصان والفروع والأوراق التي ينبت بعضها من بعض باسلوب بديع الصناعة جميل الشكل.

واسلوب عمل الزخارف النباتية يتم في البداية حسب ما يرتسم في مخيلة الفنان من شكل زخرفي يتناسب مع المساحة المخصصة للزخرفة، ولسهولة إنجاز العمل فقد إرتأى ذلك الفنان أن يقسم الشكل الزخرفي الى نصفين متساويين ومتناظرين، وقد أدى الطموح والحاجة الى تغطية المساحات المختلفة بالزخارف الى تقسيم الشكل الزخرفي الى أربعة أقسام متساوية ومتناظرة بذلت جهود كبيرة في سبيل تطويرها والابداع في رسمها والسير بها نحو الأتقان والنضوج، فظهرت تلك الأشكال الزخرفية كأنها أغصان وفروع نباتية تخرج من براعم بمثابة مراكز تنطلق منها باتجاهات متباينة باسلوب يدل على ذوق رفيع ومقدرة على هذا الأخراج الفني الرائع.

وقد أدى ذلك التطور المستمر لهذه الزخارف النباتية الى ظهور نوع من الزخرفة العربية الأسلامية اصطلح الباحثون الأجانب على تسميتها أرابسك Arabesque أما الباحثون العرب فيفضلون تسميتها زخرفة الرقش العربي، والتوشيح العربي، والتوريق، وجميعها مشتقة من شكلها وعناصرها وشيوعها في الفنون العربية الأسلامية عموماً، وهذا النوع من الزخرفة قوامه مجموعة أغصان وفروع نباتية مورقة تتشابك وتتناظر وفق نظام خاص، وتخضع لظاهرة النمو، ويحكمها التناسق والتناسب في حجمها وأشكالها وأوضاعها، بحيث تمتد فتشغل المساحة المخصصة لها ولاتترك فراغاً بينها. وهكذا يمكننا القول في هذه الزخرفة أنه تتجلى فيها روح فن المسلمين المعتمد على مزج عناصر الطبيعة مع الخيال، استطاع الفنان انيرتب تلك العناصر الزخرفية القديمة ترتيباً جديداً مبتكراً، وأن يخرجها بتنسيق فني رائع، وأن يطبعها بطابع عربي إسلامي لايستطيع المرء إنكاره.

فكانت هذه الزخرفة ابتكارا عربيا اسلاميا اصيلا في اساسه وتكوينه وفكرته



٦ ـ زخارف وكتابات واجهة مدخل المدرسة

تزدان بناية المدرسة المستنصرية بكتابات على شكل اشرطة تزين واجهة مدخلها واعلى الجدران الخارجية، وهي اضافة الى كونها وسيلة اعلامية للتعريف بالبناية ومؤسسها وتاريخها. فأنها ايضاً تشترك مع العناصر الزخرفية في تزيين الجدران.

ونوع الخط المستعمل في تلك الكتابات هو خط الثلث، وهو من انواع الخط العربي الذي يمتاز بحروفه اللينة والذي ازدهر خلال فترة حكم السلاجقة ووصل الى درجة كبيرة من التطور واشتهر استخدامه على الابنية المختلفة والتحف الفنية بشتى انواعها.

عملت هذه الكتابات من قطع الاجر بأسلوبين: الاول تصفيف قطع الاجر ذات الوجه المهندم والسطح المستوي الموحد، ورسمت الكتابة على الاجر وحفرت الحروف بحيث تكون بارزة على سطح القطع الاجرية، ثم زخرفت الفراغات بعناصر نباتية تم حفرها حفراً عميقاً بحيث تبدو هي الاخرى بارزة ايضا، وهكذا ظهرت الحروف بارزة فوق ذلك المهاد من الزخارف النباتية. والاسلوب الثاني الذي تم فيه عمل الكتابات يعتمد على تقطيع الاجر ونحته ليتخذ شكل الحرف المطلوب الذي قد يتألف من قطعة واحدة او اكثر. وهنا تكون الحروف مستقلة عن الارضية وزخارفها بشكل اوراد مفصصة متجاورة تشبه النجوم او شكل الشبكة في مظهرها العام وهكذا تكون الكتابة واضحة عليها. ومثال الاسلوب الاول نجده في كتابات واجهة المدخل، اما امثلة الاسلوب الثاني فنلاحظها في الكتابات الاخرى الموجودة على جدران هذه البناية.

اما نصوص الكتابات فهي:

النص الاول.

وهو موجود- في واجهة المدخل الرئيس للمدرسة. ونجد في كتابات هذا النص اسم الخليفة، والتعريف بأن المدرسة مخصصة للفقهاء على المذاهب الاربعة، مع تاريخ تأسيس البناية (٥٢). وقد اصاب التلف والتشويه اجزاء من هذه الكتابة فقامت المؤسسة العامة للاثار والتراث بترميمها وصيانتها. والنص يتألف من عشرة اسطر من الكتابة هي: ــ

١ ــ بسم الله الرحمن الرحيم

٢ ــ قد انشأ هذه المدرسة رغبة في ان الله لا يضيع

٣ ــ اجر من احسن عملا وطلباً للفوز بجنات الفردوس

٤ ــ التي اعدها للذين أمنوا وعملوا الصالحات نزلا

٥ ــ وامر ان تجعل المدرسة للفقهاء وعلى المذاهب الاربعة

٦ ــ سيدنا ومولانا امام المسلمين وخليفة رب العالمين

(٥٢) أنظر عن المراجع التي اشارت وذكرت هذا النص (كوركيس عواد: المدرسة المستنصرية ببغداد، مجلة سومر م١ (١٩٤٥) جـ١ ص ١٠٨ ــ ١١٠).

٧ ــ ابو جعفر المنصور المستنصر بالله امير المؤمنين
٨ ــ شيد الله تعالى معالم الدين بخلود سلطانه واحيا
٩ ــ قلوب اهل العلم بتضاعف نعمه واحسانه وذلك في
١٠ ــ سنة ثلثين وستماية وصلى الله على سيدنا محمد النبي وآله.

ويجدر بنا ان نشير الى وجود كتابة من عدة كلمات في واجهة المدخل تقع بين الزخارف وتتكون من خمس كلمات متفرقة موضوعة داخل ثلاث نجوم زخرفية على الشكل التالي:

موجودة

جنات عدن مفتحة لهم ابوابها(٥٣)

النص الثاني

كانت كتابة هذا النص في اعلى الجدار الخارجي الذي فتح فيه مدخل المدرسة. وقد تعرضت هذه الكتابة للتلف والزوال ولم يبق منها الا القليل. ومن المؤمل اعادتها او اعادة الاجزاء المتبقية منها الى موضعها القديم بعد انجاز اعمال الصيانة والترميم الجارية في بناية المدرسة المستنصرية حالياً. (٥٤) والكتابة المتبقية: هي «(... الله من عباد (٥. بأنشائه طلبا للث (واب الذي) يعمل لمثله العاملون وتحريضا على فضل ربه تعالى.. هل يستوي الذين... المستنصر بالله امير المؤمنين ادام الله اعتصام الاسلام بحبله المتين».

النص الثالث

يقع هذا النص في اعلى الجدار الجنوبي من الخارج، لكنه لم يبق من كتابته الممتدة بشكل شريط سوى بضع كلمات هي «... سنة ... وثلثين و(ست) ــمــ(اية) ... وا ...». (٥٥)

النص الرابع

وهو يزين الجدار المطل على نهر دجلة على شكل شريط يمتد بين نوافذ حجرات الطابق الأول وغرف الطابق الثاني، وقد غطيت كتابة هذا النص بكتابات من عهد السلطان العثماني عبد العزيزخان الذي سجل فيها إصلاحاته للبناية في سنة ١٢٨٢ هجرية (١٨٦٥ ميلادية). والكتابة العباسية كما أوردها الباحثون هي:
ــ ما شاء الله كان، بسم الله الرحمن الرحيم. ولتكن منكم امة يدعون الى الخير

(٥٣) نص الآية الكريمة الواردة في القرآن الكريم (٣٨ سورة ص / الآية ٥٠): «جنات عدن مفتحة لهم الأبواب».

(٥٤) انظر: كوركيس عواد: المرجع السابق ص ١١١ ــ ١١٢.

(٥٥) المرجع السابق ص ١١١ ــ ١١٢.

ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر واولئك هم المفلحون. هذا ما أمر بعمله أمير المؤمنين وخليفة رب العالمين الذي طبق البلاد إحسانه وعدله وغمر العباد بره وفضله أبو جعفر المنصور المستنصر بالله قرن الله تعالى اوامره الشريفة بالنجح واليسر وجنوده بالتأييد والنصر وجعل لايامه المخلدة جداً لا يكبو جواده ولآرائه المجدة سعداً لا يخبو زناده في عز تخضع له الاقدار فيطيعه عواصيها وملك تخشع له الملوك فيملك نواصيها وذلك في سنة ثلاثين وستماية وصلى الله على سيدنا محمد وآله الطيبين الطاهرين وعترته وسلم تسليماً».(٥٦)

النص الخامس

يلاحظ هذا النص في الجزء الشمالي من الجدار الخارجي المطل على نهر دجلة وذلك على إمتداد النص الرابع السالف الذكر، وهو يماثله من حيث الشكل العام. على أن كتابة هذا النص تعرضت للتلف والاندثار وما بقي منها هو: ((... باعزاز ... انه ونصره ورفع في ... لطهر في ... الزاهر لاجئا الى حرم آمن وركن شديد وذلك في سنة ثلثين وستماية وصلى الله على سيدنا محمد النبي وآله)).

ومن الكتابات الأخرى التي كانت تزين جدران هذه البناية نص آخر نقله لنا الرحالة نيبور (Nebor) عند زيارته لبغداد في سنة ١١٤٦ هجرية (١٧٥٠ ميلادية) ومشاهدته للمدرسة المستنصرية، لكنه لم يذكر لنا المكان الذي كان فيه هذا النص، ومن المحتمل انه كان يزين الجدار الشمالي للبناية. والنص المذكور هو: ((قد أنشأ هذه المدرسة الشريفة لطلاب العلم وتسمى المدرسة العظمى (من مكن) دولة العز وأسعد الخلائق (بـ) المحجة البيضاء (الحظي) عند الله وخليفته في أرضه الخليفة أبو جعفر المنصور المستنصر بالله امير المؤمنين أمنع الله المسلمين باعزاز سلطانه وابد دولته بطول حياته وذلك سنة ستماية وثلاثين))(٥٧)

(٥٦) يلاحظ في هذه الكتابة أن العبارة الأولى فيها حفرت بشكل غائر على عكس باقي الكلمات كما وضعت مستقلة عن الشريط الكتابي. والكتابة العثمانية الموضوعة تبدأ بعد كلمة «بالمعروف». وقد ذكر كوركيس عواد وأشار الى المراجع التي ورد فيها مع الأختلافات في قراءة الكلمات الواردة (أنظر المرجع السابق ص ١١٠ ـ ١١١).

(٥٧) وعقب الأب أنستاس الكرملي على هذه الكتابة فقال بأنها محرفة وكثيرة الأخطاء، واضاف إليها الكلمات التي وضعت داخل أقواس (الكرملي: مدارس الزوراء، مجلة المشرق ١٠ (١٩٠٧) ص ٢٩٢). وقد ذكرها كوركيس عواد وأشار الى المراجع التي أوردتها والأخطاء الموجودة فيها (المرجع السابق ص ١١٣).

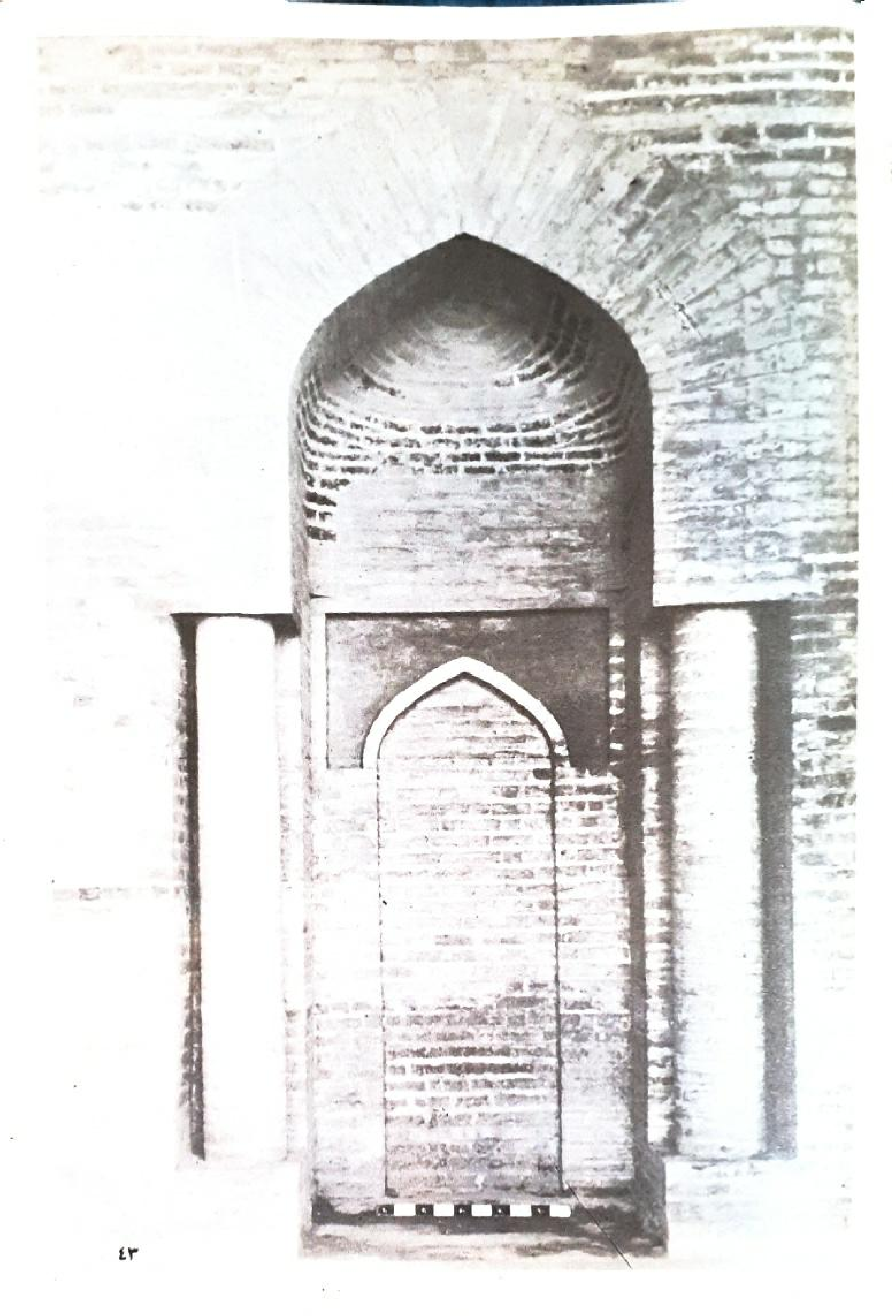
٧ ـ واجهة المدخل المطلة على ساحة المدرسة



٨ – الساحة الد... [illegible] الإيوان الشمالي قبل الصيانة



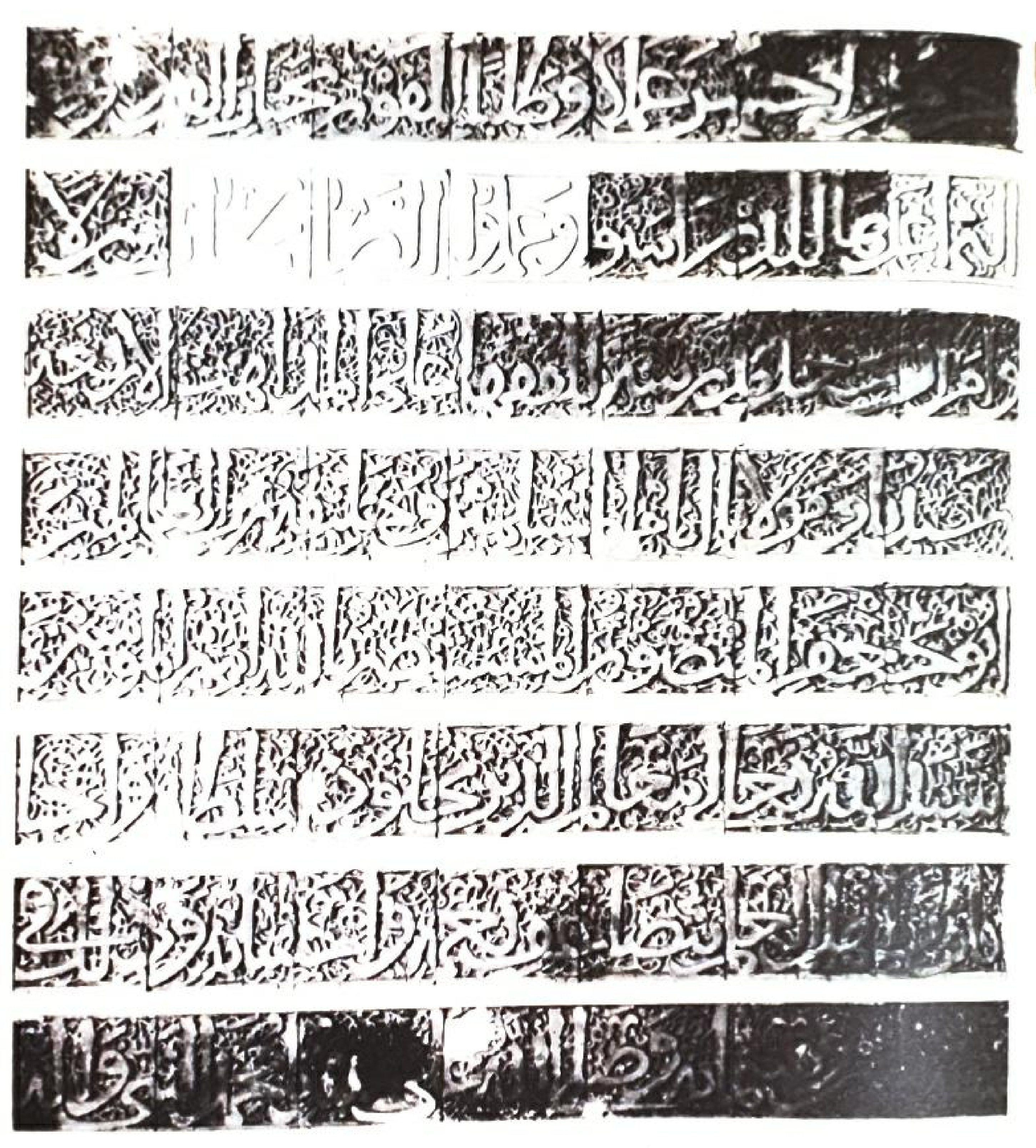
٩ ـ الساحة الوسطية (الصحن) ويشاهد فيها الايوان الشمالي بعد الصيانة



١٠ ـ محراب مسجد المدرسة



١١ ـ الرواق أمام القاعات الكبيرة



١٢ ب الكتابات فى واجهة المدخل

اهمية المدرسة المستنصرية

تبرز اهمية المدرسة المستنصرية في كونها أول مدرسة مخصصة للمذاهب الاربعة حيث كانت المدارس السابقة لها تختص كل منها بمذهب واحد، او مذهبين إثنين، او ثلاثة مذاهب. وهي بذلك تهدف الى جمع الأمة وتوحيدها للوقوف أمام التيارات الفكرية المعادية. وهكذا اصبحت مثالا يحتذى به اذ لم تمض فترة وجيزة على انشائها حتى بديء ببناء المدارس على غرارها. كما أن شروطها وقوانينها كانت نبراسا لما اقيم بعدها من مدارس.

كانت هذه المدرسة موئلا للعلماء والأدباء فقصدها الطلاب من جميع انحاء العالم آنذاك، فكان لها اثر كبير في الثقافة الاسلامية ذلك لأنها كانت «مجمع سائر الدين ومذاهب المسلمين» وكان يدرس فيها «علم الاصول والفروع المتفرق فيها والمجموع، وعلم القوافي واحاديث الرسول ومعرفة الحلال والحرام وقسمة الفرائض والتركات وعلم الحساب والمساحات وعلم الطب ومنافع الحيوان وحفظ قوام الصحة وتقويم الأبدان»(٥٨).

أما من حيث التخطيط والعمارة فان المستنصرية ببنايتها ذات الساحة الواسعة (الصحن) المحاطة بالحجرات والغرف ووجود الأواوين، تمثل نظاما متكاملا اتبع في بناء كثير من المدارس فيما بعد.

---

(٥٨) الأربلي: خلاصة الذهب المسبوك ص ٢١٢.

رقم الايداع في المكتبة الوطنية
ببغداد ١٤٥٥ لسنة ١٩٨١

دار الحرية للطباعة

دار الحرية للطباعة - بغداد